الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات

كتابة الألم في الرواية النسوية الجزائرية
"تشرفت برحيلك" لفيروز رشام – أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطلبة:
- فرحات فرحات
- محمد رياض هامل
- نسرين بيه

إشراف الأستاذ:
أ.د. يوسف العايب

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
شبرو عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي	رئيسا
يوسف العايب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي	مشرفا ومقررا
مسعودي العلمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1444-1445هـ/2023-2024م

شكر وعرفان

إن الشكر ينبغي أن يكون لله عز وجل الذي أتم علينا نعمته ووفقنا في انجاز هذا البحث، فله كل الشكر والحمد اولاً وأخرا .

وبعده، يسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير والاحترام إلى أستاذنا الفاضل الدكتور يوسف العايب الذي تشرّفنا بإشرافه على هذا العمل ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة ووقته الثمين فكان خير مرشد وموجّه فالله نسأل له كل التوفيق وخير الثواب وأن يجعل هذا في ميزان حسناته .

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير والمودّة إلى من قدم لنا يد العون في انجاز هذا البحث السيد شرايطه ابراهيم .

وإلى كل أعضاء اللجنة لتحملهم عناء القراءة والمناقشة والتصحيح والشكر موصول إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات وكل من علّمنا حرفا طيلة مسيرتنا الدراسية الطويلة والله ولي التوفيق .

مقدمة

تعتبر الرواية من أهم وسائل التعبير الحديثة التي بعثت في الأدب العربي عموما والجزائري خصوصاً روحاً إبداعية وفتحت باب الإبداع على مصرعيه أمام الكتّاب والكاتبات.

فبرزت في الساحة الأدبية الجزائرية تجارب نسائية في ميدان الرواية تستحق الإشادة والتقدير لما طرحته من قضايا متنوعة ومواضيع مختلفة بشكلها الخاصّ الذي يعني المرأة أو العام الذي يشغل المجتمع بأكمله.

لكن تبقى القضايا الخاصة بالمرأة من أكثر الموضوعات حضوراً في الكتابة النسوية الجزائرية .

فالمرأة هي الأقّدر على ايصال صوتها بنفسها والتعبير عن معاناتها الذاتية داخل المجتمع وطرح مشكلاتها الخاصة وفق تصورها الخاص ورؤيتها الذاتية في تصوير آلامها وآمالها .

فنذكر هنا عديد الكاتبات على سبيل الذكر لا الحصر مثل: زهور ونيسي، ياسمينة صالح، أحلام مستغانمي، فيروز رشام ـ محل بحثنا ـ .

وعليه جاء بحثنا موسوماً ب: كتابة الألم في الرواية النسوية الجزائرية " تشرفت برحيلك " لفيروز رشام " أنموذجا" .

وما دفعنا لاختيار موضوع الرواية النسوية كونه جدير بالدراسة والبحث ونهدف من وراء هذه الدراسة الكشف عن تجليات الألم ووسائل التعبير عنه في الرواية المختارة .

وباعتبار الكاتبة فيروز رشام من الكاتبات اللائي أبدعن في مجال الرواية النسوية الجزائرية وقع اختيارنا على روايتها " تشرفت برحيلك" التي جسدت الألم بكل الوانه وأشكاله

ليتبادر إلى أذهاننا إشكالية رئيسية تمثلت في:

- كيف تمظهر الألم في رواية تشرفت برحيلك ؟

لتتفرع عنها تساؤلات عديدة منها :

ما أنواع الألم الموجودة في الرواية ؟

- هل نجحت الكاتبة في تصوير ألم المرأة الجزائرية ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وما يتفرع عنها من تساؤلات اعتمدنا على خطة عمل تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة .

حاولنا في مقدمة عملنا الإحاطة بالموضوع المدروس، أمّا في الفصل الأول والذي حمل عنوان: اضاءات نظرية وتطرقنا فيه إلى ماهية الألم لغة واصطلاحا، وكذا أشكال الألم في الرواية ثم الرواية النسوية الجزائرية من حيث النشأة والخصائص والموضوعات.

أمّا الفصل الثاني والذي جاء تحت عنوان: تمظهرات الألم في رواية تشرفت برحيلك وتم التطرق فيه إلى: تمظهرات الألم على مستوى العتبة النصية وذلك من خلال الغلاف والعنوان.

ثم تمظهرات الألم على مستوى المتن النصّي وشمل: الألم الجسدي، الألم النفسي، ألم الوعي بالوجود والألم الاجتماعي .

واخيراً أنهينا البحث بخاتمة لخصّنا فيها أهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال هذه الدراسة .

ولتطبيق هذه الخطة إعتمدنا على منهج وصفي ـ موضوعاتي لأنهّ الأنسب لتتبع تمظهرات الألم في الرواية محل الدراسة لكن هذا لم يمنع من انفتاح البحث على مناهج أخرى استعنا بها في هذه الدراسة مثل المنهج السيميائي في دراستنا لتمظهرات الألم على مستوى العتبة النصية (الغلاف ـ العنوان)، وكذلك المنهج الأسلوبي على مستوى المتن النصي.

ولإثراء هذا البحث إعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع اهمها:

- تشرفت برحيلك لفيروز رشام .
- الكتابة والألم لمعز الزموري .
- النسوية في الثقافة والإبداع لحسين مناصرة .
- أنطولوجيا القصة، النسوية في الجزائر لجميلة زنير .

وإن كان لا بدّ من ذكر بعض الصعوبات والتي تجاوزناها بعون من الله وبالصبر والعمل وتوجيهات الأستاذ المشرف ونذكر منها:

- ضيق الوقت المخصص لإنجاز البحث.
- صعوبة التوفيق بين البحث والعمل وارتباطاته الكثيرة .
- تأخر حصولنا على الرواية محل الدراسة بسبب عدم توفرها في المكتبات محليا او حتى خارج الولاية .
- قلة المراجع المتخصصة في الموضوع بشكل دقيق .
- كيفية استنطاق صور الألم في الرواية محل الدراسة .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير للأستاذ المشرف الدكتور يوسف العايب عل ما بذله من جهد وقت وصبر في نصحنا وتوجيهنا إلى جانب ما لمسناه منه من تواضع علمي، كما نتقدم بأسمى عبارات التقدير لأعضاء اللجنة المحترمين على قراءة ومناقشة هذا العمل وعلى ما سيتفضلون به من ملاحظات وتوجيهات قيمة .

والله ولي التوفيق .

قال أبو الطيب المتنبي:

لا تحسبوا رقصي بينكم طرباً

فالطير يرقص مذبوحا من الألم

الفصل الأول:

اضاءات نظرية

1- ماهية الألم

2- أشكال الألم

3- الرواية النسوية الجزائرية

4- التعريف بالمؤلفة

5- ملخص الرواية

1- ماهية الألم:

- لغة :

"أَلَمُ والجمع آلاَمي .

أَلمَ الرّجُل يَأْلَمُ ويُجمع الْأَلَمُ آلاماً .

وَتَأَلَّم وآلمْتُهُ والْيمُ والْمُؤْلمُ والْمُوجعُ مثل السَّميعُ بمعن الْمُسْمعُ ....."[1]

"الْألَمُ مُحرَكُهُ الوجع كالْأَليمةُ . ج . :آلامٌ

أَلَمٌ كفرَحٌ فهو ألَمٌ وتألَّم وآلمْتُهُ والْأَليمُ والمُؤْلمُ ..."[2]

اتفقت معظم المعاجم اللغوية أنّ الألم معناه ومرادفه الوجع .

- اصطلاحاً :

" الألم هو إحساس تصاحبه استجابات غير مستحبة، وأي استجابة تحدث بفعل غير مؤثر، وهذان هوما شقا أي إحساس: مؤثر واستجابة، فالمؤثر هو المنبه أو الباعث أو السبب، والاستجابة هي الخبرة التي يعيشها الإنسان ... وما يعني الإنسان هو الخبرة التي يعيشها وخبرة الألم هي خبرة معاناة والمعاناة هي حالة نفسية" [3]

وما نفهمه من هذا هو أن الألم شعور سيء يصيب الإنسان لسبب معين وهذا السبب هو الذي يضع الإنسان في حالة من المعاناة التي ينتج عنها العديد من الانفعالات السيئة .

" الألم هو خبرة نفسية، وتجربة سيكولوجية تشتمل على الإحساس بالمعاناة وترتبط بمتاعب الجسد وعذابه، وولدت كلمة العذاب من خبرة الألم ....وقبل أن تكون هناك أي خبرة بالألم لم يعرف الإنسان العذاب فقد حدث الألم ليعرف الإنسان العذاب " [4] .

---

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب مجلد 11 ، دار صادر يروت، ص 22.

[2] مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مجلد واحد، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص 69.

[3] عادل صادق، الألم النفسي والعضوي، ترجمة يوسف فرنسيس، دار الاسكندرية للنشر، القاهرة 28 /12 /1984 ،ص 15 .

[4] عادل صادق، الألم النفسي والعضوي، ترجمة يوسف فرنسيس، دار الاسكندرية للنشر، القاهرة 28 /12 /1984 ،ص 26 .

فالألم معاناة وعجز داخلي يشعر به الشخص المتألَّم، إحساس داخلي يشبه الهزيمة فيعجز حتى عن وصفه ووصف حالته.

فالألمُ إذا حالة وجدانية ذاتية تتضمن أفكار الإنسان الحزينة التي أصابته لسبب معين، وهذا السبب أو المؤثر يضع الانسان المتألم في حالة كآبة وعزلة عن الناس .

- الألم فلسفيا :

لقد ظهرت العديد من الفلسفات أو النظريات الفلسفية تبحث في الأسباب الأساسية للألم الإنساني فقد اعتبر أرسطو أن الألم يندرج ضمن الحواس البشرية، إذ رأى أن الألم واللذة ليسا سوى أحاسيس و مشاعر يقول أرسطو " الانسان لا يسعى في الواقع إلى تحصيل السعادة، إنما إلى تجنب الألم" [1]

فحسب رأي أرسطو أنّ النفس البشرية تختار اللذة والتى تمثل السعادة ـ حسب رأيه ـ وتتجنب الألم وهذا بفعل أحاسيس طبيعية، فالسعادة هي غاية الانسان والألم يعتبر مظهراً من مظاهر الشرّ .

أمّا أفلاطون يقول " بوجود حالة وسطى بين اللذة والألم فإن زالت اللذة لا يبقى سوى الألم وهو شعور وهمي فالانتقال من اللذة إلى السكون ...شعور محزن ومؤلم " [2]

فالألم عند أفلاطون هو زوال اللذة وهو أحاسيس وهمية سيئة تصيب النفس البشرية وتفقدها سعادتها .

أمّا ديكارت فيري أنّ اللذة هي شعور بالكمال، والألم هو الشعور بالنقص وأقرب إلى التحصيل من قولهم الألم إدراك المنافي من حيث هو منافي واللذة هي إدراك الملائم من حيث هو ملائم .

وعلى هذا الأساس فسّر البعض رأي ديكارت أنّ سعادة الانسان أو شقاؤه ناجمين عن أفكاره وآراءه، وأن الانسان يسعد في حياته إذا كان يجهل الخطر المحيط به .

---

[1] أيمن بدر كريم، في فلسفة الألم ،جريدة المدينة 2022/04/24م، المملكة العربية السعودية

[2] نهى عبد العزيز، محمود يوسف، مفهوم الألم في الفكر الفلسفي الاخلاقي (دراسة تحليلية)، قسم الفلسفة، كلية الآداب، مجلد 2،الاسكندرية 2016، ص 15

يربط السلوك الانساني علاقة وثيقة بينه وبين مبدأ اللذة والألم، فالإنسان يحرص بفطرته على اللذة والمتعة ويبتعد عن الألم والمعاناة وبالتالي فإن مبدأ اللذة والألم يرسم المنحنى العام لأفكار الانسان وعواطفه وأحاسيسه .

- **مفردات مصاحبة للألم:**

أ- العذاب:

هو ما يصيب النفس من خبرات مؤلمة، والجسد الذي يتعذب هو جسد يعاني ألماً نفسيا داخلياً والنفس التي تتعذب هي التي تعاني ألماً. [1]

ب- الاكتئاب:

هو اعتلال ذي ألم عميق للمزاج وإلغاء الاهتمام بالعالم الخارجي[2]، ويعرَّفه علم النفس بأنه حالة من الاضطرابات النفسية التي تتميز بالألم والحزن الشديد وأقل عمقاً من الألم لكنه يتخذ صفاته حيث يتسم بوخز الضمير ويجعل حياة الشخص لا تطاق[3].

ج- الحزن:

هو حالة انفصالية تتصف بمشاعر غير سارة وتعبر عن ذاتها بالتأوه والبكاء وقلة الميل إلى تحريك العضلات [4].

[1] عادل صادق، الألم النفسي والعضوي، ترجمة يوسف فرنسيس، دار الاسكندرية للنشر، القاهرة 1984/12/28، ص26

[2] سيغموند فرويد، الحزن والاكتاب، 1915، ترجمة محمد أبو زيد، استشارة علمية، جهاد مصارورة، معهد جوته دام بورنميستا، 2009، ص 05

[3] فرج عبد القادر طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص116 .

[4] سعيد لراوي، ظاهرة الحزن في شعر شاكر السياب، ماجستير مخطوطة جامعية، جامعة باتنة، الجزائر، 1986، ص27 .

2- أشكال الألم :

الألم تجربة إنسانية تلازم حياة البشر في شتى الأزمنة بل "إنها أكثر أشياء العالم اشتراكاً"[1].

ويعد الألم عنصراً مهماً في التجربة البشرية وموضوعاً أساسياً في الأعمال الأدبية وقد عبر عنه الأدباء بطرق عدة وذلك من خلال الأبطال والشخصيات والأحداث ....

- الألم الجسدي:

يبرز هذا النوع من الألم والمعاناة أو الألم الجسدي الذي يتعرض له الانسان كالألم الذي ينتج عن المرض أو الجروح أو الإصابات ويتراوح الألم في درجاته بين الانزعاج البسيط وبين الالم الشديد كما يمكن ان يكون قصير الأمد أو يصبح مرضا مزمنا يفتك بالجسم لفترات طويلة .

نجد الألم الجسدي في رواية " المرض " للكاتبة أجاثا كريستي والتى تصف معاناة البطلة من مرض عضال و كذلك أعمال ديستويفسكي التي لا تخلو شخصياتها من الألم والوجع كالعاهات الجسدية والمرض والضعف والصرع ..

- الألم النفسي:

يصّور هذا لنوع من الألم المعاناة العاطفية للإنسان كالخوف والحزن والقلق والكآبة والغضب.." فالألم عبارة عن خبرة غير مقبولة من المشاعر والأحاسيس مرتبطة بنفسية الإنسان "[2]

ويظهر الألم النفسي في رواية "غرفة جانبية" للكاتبة أحلام مستغانمي والتى جسدت فيها صراع البطلة حسناء مع مشاعر الوحدة والحزن وذلك نتيجة فقدانها لأحبائها والذي نجم عنه عزلتها عن العالم الخارجي

- الألم الوجودي:

---

[1] فاطمة حّداد الشامخ، الألم، ترجمة رفيقة منتصري، ط 1 منشورات جيم، صفاقس، 2006، ص 25 .

[2] داغمار برويكر . ستفيان مولغ ـ فرانس بيترمان سيكوفيز يولوجية الألم، ترجمة سامر رضوان، تحرير محمد أحمد النابلسي، سلسة كتب الثقافة النفسية التخصصية، طرابلس، لبنان،ج جامعة دمشق، عدد 109

يصف هذا النوع من الألم ويبحث عن تساؤلات حول معنى الوجود والحياة والموت وذلك من خلال مواجهة الشخصيات للصراعات النفسية، ومن مميزات هذا الألم الشعور بالعبث والوحدة أو العزلة، الخوف من الموت والبحث عن معنى الحياة، ونجد ذلك في رواية " رواية الغريب" للكاتب "ألبير كامو" وفيها يواجه البطل "مورسو" العديد من الأحداث المؤلمة والتى تؤدي به للبحث عن وجوده في عالم عبثي رافضاً كل القيم المسبقة .

- **الألم الإجتماعي:**

يعبّر هذا النوع من الألم عن المعاناة التي يعشيها الشخص بسبب ثقافته أو دينه أو وضعه الاجتماعي كالتنمر والإهمال والتمييز، وهو تجربة انسانية شديدة التعقيد لها أثارها السلبية على السلامة العقلية والجسدية للشخص .

من بين الأعمال الأدبية التي تطرقت للألم الاجتماعي رواية " المسخ " للكاتب الألماني فرانز كافكا والتي تصف مأساة البطل الشاب غريغور الذي كان معيلا لعائلته ليستيقظ يوماً ويجد نفسه قد تحول إلى حشرة .

3- الرواية النسوية الجزائرية:

أ- النشأة :

تأخرت ممارسة الكاتبة الجزائرية لجنس الرواية إذ يعتبر عهدها بها حديثا إذا ما تمَّ مقارنته بممارسة الرجل للكتابة في هذا الجنس الأدبي، خلاف ما نجده في الغرب عند الكاتبات من النساء اللاتي دخلن عالم الرواية بالموازاة مع الرجل " ونظراً لما شهدته الجزائر خلال فترة التسعينات أو خلال العشرية السوداء كما يطلق عليها فكانت بداية التنكيل بالجزائر التي كانت حينئذٍ ترتب أغراضها وتحدّد موقعها داخلياً وخارجياً وهي التي لم يمض على استقلالها سوى أكثر من ربع قرن من الزمن "[1] وعليه فإن الرواية النسوية الجزائرية لم تظهر إلاَّ مع "رواية من يوميات مدرسة حرّة "لزهور ونيسي"[2] التي تعتبر من الأقلام النسائية البارزة "اللاتي من خلال أعمالها في مجال القصة والرواية"[3]، "ولها كذلك رواية لونجة والغول سنة 1993 "[4]

أمّا آسيا جبار التي كتبت باللغتين الفرنسية والعربية فإنها عجزت عن التعبير عمّا بداخلها فكانت كالكثير من النساء التائهات ين الحضارتين ولها العديد من الروايات بداية بروايتها الأولى " العطش " سنة 1956 وهي لاتزال بنتا في العشرين ولم تكتب آسيا جبّار على مدى الأربعين عاماً سوى مجموعة قليلة من الروايات، ففي سنة 1962 كتبت "رواية أطفال العالم الجديد" [5]، وفي العام 1967 رواية " السانجة " تتحدث فيها عن واقع المرأة المسلمة في الوطن والمهجر لتصبح آسيا جبّار ومنذ ذلك الحين تتصدر الحركة النسائية في

---

[1] سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، دكتوراه ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2007-2008، ص94.

[2] يمينة عجناك، الكتابة النسائية في الجزائر واشكاليتها، قضية المرأة كتابات زهور ونيسي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع9 ، جامعة غرداية 2010، ص13.

[3] بشي يمينة، نضال المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر (كتابات ونيسي نموذجاً)، حوليات جامعة الجزائر جوان 2012، ص24.

[4] فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوية في لغة زهور ونيسي، (ماجستير)، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2012 ،2013، ص30.

[5] محمود قاسم، الأب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996، ص 135-136

شمال أفريقيا [1] لتصبح الصوت المدافع عن القضايا المهمّة التي يعرفها المجتمع الجزائري إذْ تقول في روايتها " الأصوات التي تحاصرني": إن صوتي الخاص المنقول هنا حاول بالخصوص خلال هذه السنوات الساخبة وبالخصوص التراجيدي لبلدي أن يدافع ببساطة عن الثقافة الجزائرية التي ظهر لي أنها في خطر [2].

بالإضافة إلى أن " أحلام مستغانمي من خلال روايتها " ذاكرة الجسد " التي صدرت عن دار الأب ببيروت سنة 1993" [3] والتى لم تكن ذاكرة للجسد فقط " ولكنها تختصر تاريخ الوجع الجزائري والحزن الجزائري"[4] ونتيجة الأوضاع التي كانت الجزائر تعيشها جرّاء الاستعمار ثم الارهاب بعد ذلك لم تعد القصة والشعر قادران على استيعاب كل هذا الألم، فكانت الرواية عموماً والنسوية خصوصاً وسيلة التعبير البديلة والقادرة على التعبير عما يختلج في الصدور.

وكشفت "فضيلة فاروق" عن سبب التحول من القصة إلى الرواية بأن القصة لم تعد تستوعب ألمها وأنه أصبح يلزمها دفاتر ودفاتر لتملأها بألمها" [5]

كما صرحت بذلك أيضا يسمينه صالح عن سبب هذا التحول إلى الرواية قائلة" في الرواية نفس أطول يثير بداخلها تلك الحالة اللذيذة من التعب ومن اللهاث والكلام....[6]

---

[1] محمود قاسم، الادب العربي المكتوب بالفرنسية، ص 136.

[2] آسيا جبّار. محد حيرش بغداد، الكتابة النسوية وهاجس التحرر من سلطة الماضي ومن سلطة الرجل، الملتقى الدولي للكتابة النسوية، التلقي والخطاب والتمثيلات ، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافة، نوفمبر 2006، ص107.

[3] جوزيف زيدان، مصادر الادب النسائي في العالم العربي الحديث (1800 ـ 1996) المؤسسة العربية للدراسات والنشرو ط 1، 1996، ص 636.

[4] وجدان الصائغ، شهرزاد وغواية السرد قراءة في القصة والرواية الانثوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1 ،2008، ص223-224

[5] فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوي في أدب زهور ونيسي، ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013 ، ص29.

[6] المرجع نفسه،ص29.

وبذلك وجدت الأديبة في الرواية ذلك الفضاء الواسع الذي يستوعب آهاتها كامرأة جزائرية ترفض قيود المجتمع وظلم المستعمر لتعبر فيها عن ذاتها بحرية وتحقق التوازن المفقود بين الذات الداخلية والذات الاجتماعية بين المعلن و المسكوت عنه.

إن "القاسم المشترك في كتابات الروائيات ينطلق من صراع الضدّين المرأة والرجل"[1] وهو ما نجده في عموم الرواية العربية ولا يقتصر على الجزائرية فقط .

صدر بعد ذلك العديد من الروايات لكاتبات جزائريات نذكر منها "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي (1996)، "رجل وثلاث نساء" لفاطمة العقون " (1997) " بين فكي وطن "لزهرة ديك (1999) "تاء الخجل" لفضيلة فاروق (1999) "عابر سبيل" لأحلام مستغانمي (2002)[2] ثم "أحزان امرأة من برج الميزان" لياسمينه صالح (2003) [3] "علم على الضفاف" لـ حسيبة موساوي (2003) و "وردة الرمال" لـ جميلة طلباوي (2003) وجميلة زنير في رواية " وشام بربرية" سنة 2004 وكذلك رواية نادي الصنوبر " لربيعة جلطي(2012) [4] والكثير من الروائيات اللواتي ملأن الساحة الأدبية الجزائرية خاصة والعربية عامة.

بهذا الطرح للقضايا المختلفة كانت الروائية الجزائرية تدافع عن الوطن من خلال القضايا الوطنية والسياسية دون إهمالها لموضوع المرأة وارتباطها بالواقع السياسي والحضاري والذاتي وسعيها لاسترجاع الحقوق المغتصبة من الرجل .

تميزت الرواية الجزائرية النسوية بوصفها كتابة واعية لما تحمله من نضال في سبيل ما حرمت منه لتفوز في الأخير بحريتها وعودتها لأنوثتها المفقودة.

---

[1] فاطمة مختاري، الكتابة النسائية أسئلة الإختلاف وعلامات التحول ، مقاربة تحليلية في خصوصية الخطاب الروائي العربي المعاصر، دكتوراء جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2013- ،2014ص101.

[2] فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوي في أدب زهور ونيسي،ص30.

[3] جميلة زنير، أنطولوجيا القصة النسوية في الجزائر، وزارة الثقافة 2007 م ،ص 23.

[4] يوسف وغليسي، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي في الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1434 هـ - 2013م ، ص 218 . 219 - 232

ب- الخصائص:

إنه لمن الصعب حصر خصائص الرواية النسوية الجزائرية وذلك بسبب تشاطرها مع الرواية الرجالية في العديد من الأمور نذكر منها:

- إبراز الجسد الأنثوي في العمل الروائي، فالمرأة تسعى لإبراز نفسها بقوة " فهي باعتبارها كائنا مختلفا عن الرجل في تكوينها النفسي والعقلي والجسدي، وباعتبار وجودها في مجتمع ذكوري، تعمل دوماً على إظهار جسدها الملموس " [1]

- تتسم الرواية النسوية بالعفوية والحدسية، كما أنها تعكس الطبيعة الداخلية للمرأة وهكذا يصبح النص والبطلة والأنثى فيه امتداد نرجسي للمؤلفة [2]

- الثورة على المجتمع التقليدي والاهتمام بالحب .

- إبراز المعاناة النسوية وكل ما تتعرض له المرأة والتعاطف معها.

- " ربط اللغة بالهوية النسوية وحضور الصوت المرتفع نسبيا لضمير المتكلم " انا" الذي يجعل الكتابة متمحورة حول الذات"[3].

- تنحصر مواضيع الرواية النسوية بسرد أزمنة معينة، فأغلب الأحداث تصف الواقع المعاش في المرحلة الاستعمارية وما بعدها وخاصة فترة التسعينات.

- " هيمنة طابع الحزن والحرمان والنظرة المتشائمة، وتبدو الحياة أمامهن مضطربة ومتعثرة، فيها صراع الحضارة، وأزمات النفس بين الزواج والحب والأمومة والولادة والعقيم " [4]

- الطرح الجريء في اختيار المواضيع المعالجة في الروايات النسوية.

لقد حاولت الرواية الجزائرية ان تخلق واقعا يتعايش فيه الجنسين الرجل والمرأة وذلك من خلال تحسين نظرة المجتمع للمرأة ورفع مكانتها والدفاع عن حقوقها، وقد استطاعت الرواية

---

[1] حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والابداع،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2008، ص 112-114 ـ 133.

[2] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان،ط1، 2012، ص207.

[3] حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتاب الحديث،الأردن،2008، ص 112.

[4] المرجع نفسه، ص114.

النسوية أن تضيف تميزاً ابداعيا ينافس الإبداع الذكوري شكلاً ومضمونا وهو ما جعل منها ابداعاً أدبيا قائما بحد ذاته.

ج- الموضوعات:

بينت الموضوعات الروائية للكاتبات الجزائريات عن المخاوف التي تشغل المرأة " ونظرا لما شهدته الساحة قبل وبعد الاستقلال من أوضاع في مختلف الميادين شغلت أفكار الأدباء والأديبات لخوض هذه المسائل وأبت الكاتبة إلا أن تجعل هذه المستجدات منبعاً لمواضيع كتابتها لقد اعتبرت الذات، المجتمع المنطلق الأساسي لإبداعاتها انطلاقا من أن الأديب الأصيل هو الذي يتبنى قضايا شعبه، وتوجهات أمته واهتمامات بلاده ويستوعبها ويلتصق بها"[1].

فالمرأة هي الأجدر في التعبير عما يدور في صدرها ولو تقمص بعض الأحيان الرجل دورها فلن ينجح في الوصول إلى القدر الي تصله المرأة.

وكانت القضايا التي تبرز العلاقة بين الرجل والمرأة هي الاكثر حضوراً ومنها:

- **المرأة والحبّ:** الحبّ من القضايا الرئيسية التي لا تزال المرأة تكتب فيها فأغلب النصوص صورت العلاقة العاطفية وحالات الحبّ بشيء من الجرأة، فالحب في المجتمع الجزائري ممنوع بل هو من الفضائح الأخلاقية " فالحبّ فعل كوني وقيمة انسانية، بها تستمر الحياة وعليها يقوم الفن " [2]

تطرقت أحلام مستغانمي للحب في رواية " فوضى الحواس" باعتباره حبًّا يرتبط بالجسد الأنثوي لا بالروح اذ تقول " هو الذي بنظرة يخلع عنها عقلها يلبسها شفتيه..."[3]

حيث جسدت الألم الذي تعانيه المرأة جرّاء حبها الذي لا يهتم له الطرف الآخر فهو يلتزم بالصمت المبهم فلا تعرف أكان قبولاً أم رفضاً.

---

[1] جعفر يابوش، الادب الجزائري الجديد التجربة والمال، مطبعة ،وهرانAGP ص 147.

[2] بايزيد فاطمة الزهراء، الكتابة الروائية النسوية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، دكتوراء ،جامعة الحاج لخضر باتنه 2012 ،ص 242.

[3] أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الآداب بيروت، لبنان، ط 20، 2011، ص 11

وهناك نوع آخر من الحبّ وهو الحبّ الحقيقي الذي يجسد التضحية دون مقابل وهو ما حملته رواية " لونجة والغول " لزهور ونيسي حيث ضحى سحنون بحريته مقابل الدفاع عن حبيبته خداوج فتقول " كانت السنوات الثلاثة التي قضاها في الحديد هي نتيجة هذا الحبّ النبيل " [1]

اختلفت الآراء حول موضوع الحبّ في الأعمال الروائية الجزائرية النسوية وتباينت وجهات النظر، فمنهن من نظرت إليه نظرة المعاناة ومنهن من وجدت فيه اللذة والمتعة لكن يبقى الحب موجود وضروري في حياة المرأة والرجل.

– **المرأة والجسد/ الجنس:** الحديث عن الجسد في الرواية النسوية الجزائرية يعتبر خطيئة لا تغتفر فالحديث عنه يُعدُ تمردًا عن الأعراف والعادات، حتى وإنْ كان الحديث عنه لكشف المعاناة لا من أجل المتعة كما جاء في نص " فوضى الحواس " لأحلام مستغانمي " هو كل ما نملك لننسى أنفسنا [2]

وتقول الروائية أمال بشيري في روايتها "العالم ليس بخير" إن ما يدفع بعض النساء لممارسة الجنس هو الحاجة والفقر "[3]

خاضت الرواية النسوية الجزائرية في موضوع الجسد والجنس بكثرة من التحفظ والحذر واعتمدت على التلميح واللغة الرمزية والاشارات لتلك العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة لكنها تضمنت إيحاءات جنسية يستطيع القارئ إدراكها بكل سهولة.

– **المرأة والزواج:** من أرقى العلاقات بين الرجل والمرأة الزواج، لكن ركزت أغلب الروايات النسوية الجزائرية على الزواج التقليدي في العائلة الجزائرية أين يتم الاختيار من طرف العائلة لتمتع الرجل بصفات مناسبة تجعلهم يُرَّغبون الفتاة في القبول به، وهو ماعبرت عنه زهور ونيسي في رواية " لونجة والغول " من خلال ما قام به عمّ مليكة عندما تقدم محمد لخطبتها إذ تقول: " قال لها عمها يوم عرض لها الخطبة جارهم محمد وكأنه يغريها بالقبول:

---

[1] زهور ونيسي، لونجة والغول، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، 1993، ص 50.

[2] أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، ص 301.

[3] أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط7، 2013م، ص 217.

إنه يا ابنتي فعلاً شاب فقير يعيش من عرق جبينه يتعب مثلي ومثل الجميع، ولكن لابأس في ذلك، إن ديننا يقول تزوّجوا الفقراء يرزقكم الله" [1] فلا حق للمرأة في الاختيار بل تدخل عالم الزواج مرغمة لأنّ الاختيار يتعارض مع العادات والتقاليد.

حضي موضوع الزواج في الرواية النسوية الجزائرية بالاهتمام الكبير، وكشفت الروائية الجزائرية أشكالاً مختلفة للزواج فيكون مرة مرفوضا ومرة عن رغبة، كما جسدت صفة الوفاء للزوج باعتباره رباطاً مقّدسا.

– **المرأة والأمومة:** حلم كل امرأة أن تصبح أمّا بعد الزواج لتهب حنانها وعطفها لأبنائها وقد عبرت الكاتبة مريم الجيار عن هذا الشغف في روايتها " تحت المطر " إذ تقول: قلبي كما هو متعلق بذلك النبض ...ذلك القلب الطري في جوف حبّ أبدي"[2]

وأحيانا تتعكر هذه الرغبة أو العلاقة عموماً حين تحرم المرأة من الانجاب أو تكون "أمّا للبنات فقط كما جاء في رواية " عرش معشق " لربيعة جلطي إذ تقول " لم أختر أن أكون عاقراً ولم أختر أن أتزوج بوعلام كما لم أختر أن أكون خامس بنت في سلسلة البنات اللواتي وضعتهن أمي الواحدة بعد الأخرى...[3]

– **المرأة والطلاق:** ويكون دائما نتيجة لما تعانيه المرأة داخل البيت وهو ما تجسده الكاتبة جميلة زنير في رواية "أصابع الاتهام" فتقول: كان يتمنى لو أبقى أخدم أمه التي يقدسها وحين رفضت بحزم هددني بالطلاق، كان لي معه خمسة أطفال فجمعت أشياءنا القليلة ورحت إلى أهلي وفي هذه الأثناء استخدموا أحد أقاربهم وزوجوه في الغرفة كي لا أطمع في العودة..." [4]

[1] زهور ونيسي، لونجة والغول، ص 12.

[2] مريم الجيار، تحت المطر، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1434هـ، ـ 2013م ، ص58.

[3] ربيعة جلطي، عرش معشق، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ ،2013م، ص 58.

[4] جميلة زنير، أصابع الاتهام، موفم للنشر الجزائر، 2008، ص 129.

تطرقت الرواية النسوية الجزائرية لمواضيع خاصة بالمرأة عموماً وركزت على ما يتعلق بالمرأة الجزائرية خصوصاً حيث كانت الرواية النسوية صوت المرأة الجزائرية المدافع عن حقوقها والمعبر عن معاناتها التي لا تستطيع البوح بها.

– **الارهاب:** من المواضيع العامة التي مست عموم المجتمع حيث أخذت الأحداث الدامية التي عرفتها الجزائر خلال التسعينات نصيبها من الاهتمام عند الكاتبات الجزائريات على غرار بقية الموضوعات التي اهتمت بها الكاتبة الجزائرية والمتعلقة بالمرأة.

ومن الكاتبات اللواتي تحدثنا عن ظاهرة الارهاب نجد "مليكة مقدم" في روايتها "الممنوعة" التي تحدثت فيها عن معاناة المجتمع الجزائري من الارهاب اذ تقول " جلس صالح على الأرض، ظهره ضد الجدار، ركبتاه مطويتان يحكي حياته في الدزاير، التدهور التدريجي لظروف العمل في المستشفى، العنف اليومي للجماعات الاسلامية المسلحة...[1]

أما الكاتبة سليمة غزالي فتحدثت في روايتها "عاشق شهرزاد" عن انعدام الأمن في البلاد فتقول: "لم يعد السائقون يعبرون الطرق الجانبية ولا يتنقلون الاّ في الأوقات ذات الحركات المكتظة تنتظرهم في العوالي مجازفة اللقاءات غير السارة حواجز الارهاب الحقيقيين أو الجنود المزيفيين ..[2]

[1] مليكة مقدم، الممنوعة، ترجمة محمد ساري، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة ص 53.

[2] سليمة غزالي، عاشق شهرزاد، ترجمة عبد القادر عبيد ،دار مرسي الجزائر، 2002 ص 90.

4- التعريف بالروائية "فيروز رشام"

"فيروز رشام" كاتبة وباحثة أكاديمية و أستاذة بكلية الآداب بجامعة البويرة، مهتمة بقضايا المرأة والفكر والثقافة، لها العديد من المشاركات في مؤتمرات دولية نشر لها عدة مقالات علمية و لها دراسات نقدية عن دار الفضاءات بالأردن سنة 2016 بعنوان شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي، دراسة أجناس الأدب لنزار قباني، رواية تشرفت برحيلك، تاريخ النساء لم يكتب بعد.

- تحصلت على شهادة البكالوريا علوم طبيعية والحياة 1995م بثانوية محمد الصديق بن يحي البويرة؛
- شهادة ليسانس في اللغة العربية 1999 جامعة مولود معمري تيزي وزو؛
- شهادة الماجيستر في الدراسات الأدبية النقدية 2006؛
- جائزة درجة الدكتوراه للعلوم تخصص قضايا الأدب والدراسات النقدية المقارنة 2012، جامعة الجزائر 02.
- شهادة التأهل الجامعي للترقية إلى رتبة أستاذة محاضرة 2014.

رئيسة فرقة بحث بعنوان دراسات في الأدب النسوي المغاربي، وهذا فيما يخص المناصب التي شغلتها فيروز رشام.

5- ملخص الرواية

رواية تشرفت برحيلك رواية اجتماعية مأساوية فهي تصور مشاكل المرأة في مجتمع ساده الظلم في فترة التسعينات (العشرية السوداء) حيث بدأت الرواية باللقاء الذي دار بين صحفية وفاطمة الزهراء وكان أول لقاء تقبل فاطمة الزهراء بإجرائه في لم تكتب من أجل الشهرة بل من أجل قضية ورسالة أرادت ايصالها وأول ماقالته عن الكتاب أنّه يتحدث عن حياتها، وقصة حياتها هي قصة المجتمع وقصة المجتمع هي النهاية جزء من التاريخ ولا تعرف الفصل بين كل هذا.

بدأت الكاتبة في الحديث والصحفية تستمع إليها وبعد أن دعتها للحديث عن حياتها بدأت في الحديث وسرد قصتها أنها كانت تلميذة في الثانوية تسكن في بومرداس بقرية زموري مع عائلتها المكونة من والديها وأخويها (فؤاد ورشيد) وأختيها (نصيرة وجميلة)، حيث أنها تعيش حياة هادئة هي وعائلتها قبل أن ينخرط أخويها في موجة التطرف وأولهما فؤاد الذي لا عمل له لديه سوى مراقبة أختيه والذي تغيّرت تصرفاتها بغياباته المتواصلة عن المنزل وذهابه إلى المسجد كثيرا وهو لا يعرف شيئا عن الدين ولم يوجه رأسه يوما للقبلة ويسبّ الله في أتفه الأسباب وكذلك رشيد وهو أب لطفلتين يفتي في كل شيء وهو قليل المعرفة بالدين ويتحدثون عن الله وكأنهم لا يعرفونه من قبل واكتشفوه فجأة كما قالت فاطمة الزهراء في روايتها.

فاطمة الزهراء كان طموحها الالتحاق بالجامعة والتخصص في الأدب رفقة حبيبها طارق، إلا أن الحظ لم يسعفها لم تحصل على شهادة البكالوريا ومنعها أخويها من إعادة السنة بعد اكتشافهم أمر علاقتها بطارق، وأجبروها على ارتداء الحجاب، فأخويها التحقوا بالمجموعات الارهابية فهم لا يفقهون عن الدين شيئا، فالتحقت هي بمعهد تكوين الأساتذة بالجزائر وبعد عامين تخرجت وأصبحت معلمة في الطور الابتدائي ومع مرور الأيام أرسل طارق رسالة لها فوقعت بيد فؤاد وقرأها وكان كالثور هائج أمسك الرسالة بيده وشعرها بيد أخرى حتى فقدت وعيها من الضرب، فأراد طارق التقدم إلى البيت لخطبتها لكنها رفضت

كونه طالب جامعي لا يملك المال بعد، لكنه أصرّ عليها وذهب طارق مع أحد الشيوخ يعرفه لأن والده رفض الذهاب معه كون عائلة فاطمة خطيرة من جماعة الارهاب وصل طارق إلى المنزل ورحب به والد فاطمة لكن فؤاد لمّا سمع باسمه بدأ يلعنه بأبشع الأوصاف وشنَّ شجار بينهما ورفض طارق من طرف عائلتها وبعد ذلك أجبروها على الزواج من رجل غير الذي تحبه اسمه ناصر فبدأت معاناة جديدة في حياتها بعد زواجها من رجلا لا يقدرها كزوجة ويحتقرها فتعرضت إلى أقصى المذلة والاهانة وحرمانها من مالها واستغلالها ماديا فلقد خيرها بين العمل وتوقيع وكالة له، بعد أربع سنوات أصبحت فاطمة الزهراء أم لأربعة أطفال ولم تتمكن من تربيتهم كما تريد فلقد كانت عائلة زوجها تدخل في كل صغيرة وكبيرة وأهانوها وعنفوها عدة مرّات وما نراه الأمر سواء اصابتها بسرطان الثدي واكتشافها لخيانة زوجها وانتهى زواجها بالطلاق لأن زوجها يرى أنها لم تعد صالحة لا نفع منها.

وطلاقها كان بداية جديدة في حياتها فلجأت إلى العاصمة ولقد يد العون من بعض الأصدقاء من بينهم كريمة وهي امرأة مثقفة وجريئة ساعدتها لتعيد بناء نفسها من جديد وتصبح امرأة قوية متحررة من المخاوف التي عاشتها فقررت فاطمة الزهراء اصدار كتاب تكتب فيه حياتها وقصة معاناتها لتتخلص من آلامها ومعاناتها فأصبحت كاتبة مشهورة وأخرجت أول كتاب لها تحت عنوان "تشرفت برحيلك" الذي يعبر عن الرفض الاجتماعي والأسري البائس للواقع الراهن المأسوي في فترة العشرية السوداء.

الفصل الثاني:

تمظهرات الألم في رواية "تشرفت برحيلك"

1- تمظهرات الألم على مستوى العتبة النصية

أ- الغلاف

ب- العنوان

2- تمظهرات الألم على مستوى المتن النصي

أ- الألم الجسدي

ب- الألم النفسي

ج- ألم الوعي بالوجود

د- الألم الاجتماعي

1- تمظهرات الألم على مستوى العتبة النصية.

أ- الغلاف:

ما يلفت الانتباه في لوحة الغلاف كونه يتشكل من لوحة تشكيلية أبدعتها يد الفنان قد تكون لها علاقة مباشرة بالمضمون الروائي، وقد لا تكون إلا أنها تمتلك قدرة ملموسة وواضحة في اجتذاب القارئ لأنها تمثل نصا بصريا تتداخل عبره العلامات والألوان المتراكبة والصور التي تحيل على موضوعات قابلة إلى أنّ يتعرف عليها فهي بمثابة لغة ثانية دالة وبشكل مكثف وعميق، فالجمهور القارئ اليوم يتعامل مع الأعمال الأدبية – والتي منها الرواية– من خلال مجموعة من العلامات ذات الدلالة سواء كانت رموزا أم ألوانا أم أشكالا. فهذه العلاقة تفتح للمشاهد تفسيرا لمضمون الرسالة من خلال حوار ديالكتيكي بينه وبين العمل الفني، وهذا ما يطلق عليه بعملية التلقي[1].

ويحتوي الغلاف على ألوان والتي بدورها تعدّ من المدركات البصرية التي لها تأثير على المتلقي للنصوص الأدبية.

وفي رواية "تشرفت برحيلك" حمل الغلاف لونين متضادين (الأسود والأبيض) فاللّون الأبيض يمثل الخلفية الحاضنة لغلاف الرواية[2].

وهو الطاغي على واجهة الرواية هذا الطغيان الذي نراه يمنح القارئ ربما راحة ويعطيه فسحة من الأمل لأن هذه الإشراقة تعطي انطباعا لدى القارئ بالصفاء والوضوح، كما أنّه يفرض على القارئ "أن يصمت أو يستريح أو يدخل في مجال تأملي محمّل بالدلالة"[3].إن تعدّدت هذه الدلالات لا يمكن أنّ تنحو منحنى عكس البياض فهي تمثل: الوضوح، الصفاء،

---

[1]- آمنة محمد الطويل عتبات النص الروائي في رواية المجوس لإبراهيم الكوني (العنوان – الغلاف– المقتبسات)، المجلة الجامعة، العدد 16، المجلد الثالث، يوليو 2014، ص56.

[2]- عباسي سالم، اللّون (تأثيره في الناس)، مقال، مجلة بناة الأجيال، العدد 39، ص120.

[3]- بوشوشة بن جمعة، شعرية العتبات في رواية الأسود يليق بك، مجلة علوم اللسان العربي، العددان الخامس والسادس، جوان 2014، جامعة الأغواط، ص99.

الطهارة، انتشاء الذات، الصرّاحة[1]. وهذا اللّون يرمز إلى شخصية فاطمة الزهراء وهي المحور الأساس في الرواية المرأة الصادقة والواضحة في مشاعرها مع كل من حولها، التي أعطت دون مقابل في كل مراحل حياتها، وقد تمكنت أخيرا من التغلب على السواد الذي أحاط بها أينما اتجهت تقول الكاتبة: "يمكنني القول بأنني تصالحت مع نفسي ومع تاريخي، وبأني تعافيت من جل أمراضي النفسية والعقلية والجسدية، وما داوتني العقاقير الكيميائية ولا الجلسات النفسية وإنما داوتني الكتابة! ومعجزة المعجزات كلّها أنها ساعدتني على الشفاء من السرطان! فكما قلنا أنّ البياض هنا يعبر أيضا عن التفاؤل والنظرة الاستشراقية للمستقبل.

ومن هنا نقول أنّ البياض الذي اعتمدته الكاتبة في غلاف روايتها لم يكن اعتباطا بل يحمل دلالة مهمّة تسخر بها طيّات العمل الروائي ومن خلال هذا اللّون أعطت الكاتبة إشارة مهمة للمتلقي مفادها أنّ العمل الأدبي وإن كان فيه سواد إلّا أنّ للبياض نصيب بنوره واشراقته يبدّد حالك سواده.

أما اللّون الأسود فكان له حضور داخل الرواية الذي دلّ على الظلمة والخوف كما دلّ على الحزن والمأساة فهو يعكس حياة البطلة وهو ما نجده في بعض سطور الرواية: " فكرت بأن كل أنواع المآسي قد حدثت في حياتي... افترقت عن حبيبي، تزوجت أسوأ الرجال وفقدت أبي فما اكثر من هذا"[2].

كما أنّ السواد يرمز إلى زوجها الوقح الظالم " ناصر" والحياة التعيسة التي عاشتها معه، وما نالته من ضرب وإهانة في كل مراحل حياتها الزوجية ما يعني أنّ اللّون الاسود دلالة سلبية تشير إلى التعب والكآبة في حياة بطلتنا وهو ما نجده في هذا السطر: " لم أكن أقوى على شيء، مستلقية كالميت في فراشي أردّد: يا ليتني متّ من قبل هذا وكنت نسيّا منسيّا... ليس الموت بشيء سيء فالموت بالنسبة لي رحمة لا توصف"[3].

---

[1]– أحلام مستغانمي الأسود يليق بك، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر ، ط07، 2013، ص99.

[2]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط02، 2019، ص184.

[3]– المصدر نفسه، ص165.

كما رمز اللّون الأسود للموت الذي أحاط بها وبأسرتها فقد فقدت والدها وزوج أختها، إذًا فحضور اللّون الاسود لم يكن عبثًا بل له حضور فعلي داخل نص الرواية كما كان له قيمة فنية في إبراز شخصية البطلة التي ارتوت حزنا على بلدها وما تعانيه من جهة وعلى حالها من جهة أخرى.

أمّا الشكل المرسوم وسط الغلاف فهو لشخص مغادر يحمل حقيبة في يده والماء أسفل قدميه، أمّا المغادرة والرحيل فهي الرغبة بها حقّا من طرف البطلة فهي لطالما أرادت مغادرة حياتها أو الهروب منها وبدء حياة جديدة بعيدة عن كل تسلط ذكوري أو قهر، نقرأ هذا في هذه الأسطر من الرواية: " انا الغبية والجبانة! لو أنّي تشجعت يومًا ووضعت حدًا لكل شيء لو أنّي هربت مع طارق لو أنّي رفضت الزفاف بجلباب أسود وحذاء أبيض وألغيت العرس لو أنّي طلبت الطلاق عندما ضربني أول مرة..."[1]

أمّا صورة الحقيبة فتوحي بالحياة المثقلة بالأحزان والآلام التي أغلقتها عليها وكتمتها بداخلها وهو ما ضاعف وجعها ونجده في الرواية هنا: " خمس سنوات من القهر لم أشك فيها لوالديّ همي حتى لا أعذبهما لكن آثار الجروح الجسدية والنفسية توحي كل شيء"[2]. والصمت عن الوجع وجع آخر عندما تنعدم الحلول " دخلت في حالة صوم عن كل شيء الكلام، الأكل، النوم وحده التفكير كان ينخر دماغي"[3].

لقد عاشت البطلة بل غرقت في وجع لا متناهي لكن كان لابد لنهاية وخلاص وهو ما رمز له الماء تحت قدم المغادر على الغلاف الذي دل على الغرق والنجاة في آخر لحظة ليبدأ معه يوم جديد كله أمل.

برز اللّون الأحمر على غلاف الرواية مشكلًا عنوانها فالأحمر مرتبط بالحب والرومانسية وهي صفات لا تخلوا منها الأنثى، وإن كانت الظروف التي عاشتها فاطمة الزهراء مرتبطة بالحزن والألم الذي لازم الحبّ في قلبها، كما عبّر اللّون أيضا على القتل والدّم الذي حدث

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص229.

[2]– المصدر نفسه، ص158

[3]– المصدر نفسه، ص 51

خلال العشرية السوداء والصراع الذي عاشته الجزائر تلك الفترة إذ نالت هذه السنوات من أغلب الأسر الجزائرية ونجد ذلك في هذا المقطع: "لقد ذبحوه من الوريد إلى الوريد عندما عرفوا أنّه شرطي فعندما بادر بإطلاق النّار ما أن أوقفوا الحافلة. قتل منهم واحد وجرح اثنين لكن لم يكن في مسدسه ما يكفي من الرصاصات لقتل عصابة من الإرهابيين.. أسقطوه أرضًا ثم ذبحوه"[1].

كما نجد أسفل الواجهة الأمامية أيقونة لدار النشر التي قامت بتصميم الغلاف ونشر الرواية وقد جاء على شكل مربعين أبيض وأحمر كُتب عليهما اسم دار النشر فضاءات للنشر والتوزيع".

أما الواجهة الخلفية للرواية نجد مقطعًا صغيرًا مقتبسا من الرواية.

"لم أستطع تصور شكلي بنهد واحد ولا إن كنت حقا سأتقبل أنوثتي المنقوصة بدءًا من اليوم وفي غمرة حزني تذكرتُ ما قالته لي معلمة ذات مرة بتنكيت لا يضحك أحدًا، لا يهمّ إن بُتر نهدك الآن لقد تزوّجت وأنجبت فماذا ستفعلين به نظرية بائسة بؤس معظم العاملات اللواتي عرفتهم في حياتي كم عمر النهد قصير في ثقافتنا بل كم عمر الأنوثة قصير، تنتهي حياة المرأة وحياة أعضائها عندما ينتهي دورها الاجتماعي، تزوجت وأنجبت إذن انتهى كل شيء".

كما جاء في الخلفية أربعة ألوان هي الأسود، الأبيض، الأحمر وكذا الرمادي هذا الأخير دلّ على الانزعاج والوجع الذي امتلأت به سطور الرواية.

انطلاقا مما سبق ذكره حول الغلاف باعتباره لوحة جسدت الألم قبل الغوص في أحداث الرواية فتجلى هذا الألم من خلال الألوان المعبرة والمختارة كرسم ملامح الألم أو الإيحاء للقارئ بأنه أمام أشكال متنوعة من الألم تبدأ من الغلاف كعتبة نصّية تقود القارئ إلى متن الرواية وتشوقه لمعرفة أحداثها.

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص149.

ب- العنوان:

يظل النص الأدبي بحاجة إلى عتبات، ويعتبر العنوان من أهم هذه العتبات، ولأنه عتبة أساسية فهو أول ما تقع عليه عين القارئ وهو أول مقروء بالعمل الأدبي الروائي. بعد الغلاف طبعًا. ويرتبط العنوان بجملة من الوظائف وهي:

- **الوظيفة التعيينية:** وهي الخاصة بتسمية العمل وهي مهمة لأنها تعمل على تسمية النص وتمييزه عن باقي النصوص الأخرى وفي رواية "تشرفت برحيلك" تحققت هذه الوظيفة من خلال اسم الرواية "تشرفت برحيلك " .
- **الوظيفة الوصفية:** وتظهر هذه الوظيفة من خلال علاقة العنوان بالنص فمضمون الرواية يتناول الحياة الأليمة والتعيسة للبطلة فاطمة الزهراء التي تزوجت من رجل لم ترغب فيه، رجلٌ يضربها، يهينها، يستغلها فكان الرحيل هو النجاة منه لذلك نجدها تقول: "صرختُ وعلا صوتي وأنا أشكي وأبكي شدّتي من رأسي، أمسكني من شعري وبدأ يضربني قاومتُ بما استطعتُ وأنا أكرّر على مسامعه: كرهتُ... تعبتُ... دعني... طلقني"[1].
- **الوظيفة الإغرائية:** وتحققت هذه الوظيفة من خلال التضاد بين المفردتين "التشرف" و"الرحيل" وما فيهما من إغراء وتشويق وجذب للمتلقي إضافة إلى نوعية الخط المفخّم، واللّون الأحمر الحيوي الذي كتب به دون أن نغفل عن السخرية التي يثيرها العنوان، وبالتالي فإن العنوان كان بمثابة لوحة فنية تفننت الكاتبة في رسم أدقّ تفاصيلها لتوطد العلاقة بينه وبين محتوى النصّي الذي يتجلى في حياة البطلة فاطمة الزهراء المظلمة التعيسة ليكون الرحيل سبيلها لبناء الحياة من جديد.

يعتبر الغلاف الموجود على الواجهة أهم العتبات في الكتابة المعاصرة فهو الذي يحددّ مسار القارئ حين يقع عليه بصره فيشد انتباهه ويشحذ تفكيره ويدفع رغبته نحو الكتاب والتفكير في شرائه وقراءته.

[1]- فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص155.

يقول جيرار جينيت: "إنّ عتبة العنوان هي مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى النصوص تظهر على رأس النصّ لتدل عليه وتعينّه وتشير إليه"[1].

وفي رواية "تشرفت برحيلك" يظهر العنوان بحروفه الغليظة، بلونه الأحمر ليحيلنا إلى دلالات ذات طبيعة حيوية ليكون أكثر جاذبية ومدعاة للتأمل لنقف من خلاله أمام متن الرواية وما يحمله من ألم لذلك أعطت الكتابة العناية البالغة للعنوان عناية لا تقل عن عنايتها بالعمل في حدّ ذاته.

وجاء العنوان في هذه الرواية جملة فعلية "تشرفت برحيلك" والتي دلت على الحركة والتجدد والإفادة بالحدوث في الزمن المحدد من خلال الفعل الماضي "تشرفت" هو فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل العائد على البطلة فاطمة الزهراء، ودلّ هذا الفعل الماضي على تحقق الوقوع وقوع " التشرف بالرحيل فهو فعل دال في معناه على الحاضر لوجود القرينة اللفظية المحذوفة "الآن" فالأصل " الآن تشرفت برحيلك" و توحي بخلاص البطلة من الألم والعذاب.

كما يبدوا العنوان للوهلة الأولى أنه من العناوين الأكثر وضوحا باعتبار أن ملفوظاته واضحة لا تحتاج إلى شرح كبير لكن وضوح ملفوظاته لا يعني وضوح مدلوله لأن سياق التركيب يتيح العديد من الدلالات التي تبدوا هنا مبهمة وغامضة فالكاتبة لا تريد أن تجيب عن كل الأسئلة التي تختلج في ذهن القارئ من العتبة الأولى للنص الروائي وخاصة عندما تصدمه بالجمع بين التشرف والرحيل واعتمدت تشويش فكر القارئ لأن الغاية من العنوان هي الفضول.

[1]- عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط01، 1429هـ- 2008م.

وفتح الباب على مصراعيه أمام التأويلات، فكيف يمكن الجمع بين "التشرف" و"الرحيل" وما علاقة الثاني بالأول؟ وماهي العلاقة بين شكلية العنوان ومضمون النص؟ ولا ينبغي أن يغيب عنّا إذا تتبعنا العنوان الحاضر في الصفحة الأولى من غلاف الرواية باعتباره فاتحة نصّية تنقل القارئ من الدال إلى المدلولات التي يكتنزها المتن فنجد أن العنوان مركب من كلمتين "تشرفت" فعل يلتصق بالجزء الثاني من العنوان "برحيلك" لتضعنا هذه الكلمة الثانية في حيرة وغموض وتساؤل هل فعلا هناك رحيل يُتشرف به؟ لأنه في العادة والأصل التشرف يكون باللقاء والتعارف والالتقاء.

فعند قراءتنا له نجد سخرية بحيث "تشرفت" تدل على الترحيب أما "الرحيل" يدّل على الوداع وهذا التضاد والتنافر بين الكلمتين يمثل انزياحا تعمّدت الكاتبة وضعه لأنه مربوط بالمتن النصّي ويكشف مضمونه، وقد وقع حدث التشرف في الزمن الماضي ففيه التخلي عن الماضي بكل تفاصيله دون العودة إليه وعليه نستنتج أن العنوان يحيلنا إلى معاني مختلفة ودلالات متنوعة لا يمكننا الوصول إليها إلا عن طريق القراءات المتعددة وقد اختارت الكاتبة فيروز رشام هذا العنوان بناءا على أحداث روايتها فالبطلة في الرواية.

لم تحب زوجها الذي تشرفت برحيله فقد أجبرت على الزواج به، وفي الأخير عندما أراد هذا الزوج التخلي عنها وطلب الطلاق رحبت بشدة ولم تتمسك به لأنها لا تطيق العيش معه وقالت له " ارحل فقد تشرفت برحيلك، غادر وأمه لا تزال تعوي وأنا جاثمة على الأرض وأكرّر تشرفت برحيلك، تشرفت برحيلك"[1]

فقد لخصت تلك المدة من الزواج في كلمة الطلاق الذي كانت قاسية ربما بالنسبة لها رغم أنها لم تكن تريده في حياتها يوما ولا ترغب به لتصدم في النهاية أن كل تضحياتها كانت بلا فائدة وأنه لا شيء كان يستحق منها التضحية، فقد كان زواجها منذ البداية نهاية لحياتها وشبابها وصحتها، زوج كان يستغلها ويأخذ راتبها من وظيفتها في التعليم ويتركها تعيش كمتسولة وحتى حين أصيبت بمرض خبيث لم يتكفل بمصاريف علاجها ورمى بها

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص228.

إلى جانب ذلك كله تزوج بأخرى، نجد ذلك في بعض سطور هذه الرواية" خمس سنوات من القهر لم أشك فيها لوالديّ همي حتى لا أعذبهما لكن آثار الجروح الجسدية والنفسية توحي بكل شيء، أخبرتهم أني من يوم تزوجت لم أعش لحظة هنية، ولم أقبض دينارًا من مالي ولا هدية من زوجي وأنّه يضربني تقريبا بلا سبب وسبب"[1]، هذه المرأة التي فقدت بزواجها تقريبا كل شيء "زواج بائس وتعيس خرجت منه بأنف مكسور ونهد مبتور وآلاف الكدمات والجروح والصدمات"[2].

فالرّحيل هنا كان الحل الأوحد لعودة الأمل وركوب طوق النجاة بعيدًا عن حياة القهر والوجع الذي كان يسكنها كي تعيش في سلام دون أي عنف أو اضطهاد كالذي عاشته مع زوج وقح مستغل كذلك الندم والحسرة على عدم هروبها مع حبيبها طارق "أنا الغبية الجبانة لو أنّي رفضت الزواج بجلباب أسود وحذاء أبيض وألغيت العرس"[3].

لذلك تكرر العنوان "تشرفت برحيلك" في الصفحة (223) على لسان فاطمة الزهراء عند طلاقها في عبارة ارحل ارحل فقد تشرفت برحيلك وهو عبارة عن عناصر إبداعية تعكس الحالة النفسية لفاطمة الزهراء لتعبّر عن حجم المعاناة والعبودية والسلطة الذكورية التي عاشتها مع هذا الزوج المستبد بين لحظة "تشرفت بمعرفتك" ولحظة "تشرفت برحيلك" بعد مرور 18 عامًا.

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص228.

[2]– المصدر نفسه، ص155.

[3]– المصدر نفسه، ص229.

2- تمظهرات الألم على مستوى المتن النصي.

إنّ الألم ظاهرة إنسانية تتميز وتختلف من شخص لآخر بأشكال وصفات عديدة وفق مسببات معينة، اجتماعية أو نفسية أو جسدية ومنها العنف والموت والحرمان...إلخ

وأول ما نلاحظ عند قراءتنا لرواية "تشرفت برحيلك" تنوعا لمظاهر الألم فيها، فلغة الرواية تصرخ حروفها ألمًا، وتجسد ذلك في التمظهرات التالية:

أ- الألم الجسدي:

لطالما أُعتبر "الألم شيئًا موجودًا في جسد الإنسان لا نعرف عنه إلا القليل"[1]، ومن خلال هذا الألم الجسدي تتألم الذاتُ البشرية فتضربُ الروح جراء ما يتحمله الجسد وما يستقبله من مسببات للألم "فليس الجسد هو من يتألم وإنما الفرد في معنى حياته"[2].

استطاعت الكاتبة فيروز رشام من خلال روايتها "تشرفت برحيلك" ابراز معاناة الجسد وتصوير ألمه الدائم من خلال العنف الممارس على جسد البطلة فاطمة الزهراء من قبل أخوّيها أولًا ثم زوجها بعد ذلك.

فنجد حضورا للجسد وأعضائه وكل ما يرتبط به في أكثر من ستين لفظًا فلا يكاد يكون عضوا من الأعضاء المرتبطة بالجسد إلا وتم ذكره وإظهار ألمه مثل: بطني، يدي، أصابعي، عيني، شعري، ذراعي، جسدي، ركبتي، أنفي، رجلي، وجهي، رأسي، قدماي، أضلعي، خدي...الخ.

وجاءت جميع هذه الألفاظ الدّالة على الجسد، جسد فاطمة الزهراء بطلة الرواية متصل بياء المتكلم المضاف إلى اللفظ قبلها لتدّل على المُتألم وهي فاطمة الزهراء، ويقابل ذلك ألفاظًا دّالة على العنف لتكتمل الصورة، صورة الألم التي أطرافها، فعل، فاعل، مفعول به،

---

[1]- معز الزموري، الكتابة والألم، الدار التونسية للكتاب، ط01، 2022، ص100.

[2]- محمد عطية محمود، كتابة الألم عند كتاب اليوميات، الجزيرةcom.، العدد 18288، 2024/02/04، الساعة، 10:00 صباحا.

شدَّ، صرخ، وجع، قطّع، انهال، خنق، ركل، لكم،... الخ، وهي في مجملها أفعال تدل على حدث وهو العنف المسبب الأول للألم الجسدي.

ومن أكثر الألفاظ التي تكررت بأكثر من خمس وعشرين مرة لفظ (شعري) والتي أرادت الكاتبة من خلالها الدلالة على الأنوثة وكذا لفظ "أنف" التي تكررت أكثر من خمسة عشرة مرة.

وركزت الكاتبة عليها باعتبار الأنف رمز للكرامة كرامة الإنسان العربي، والجزائري خصوصا وانكساره انكسار للكرامة.

- ✓ "الدماء تسيل من أنفي"[1]
- ✓ "شيء تكسر في وجهي، إنه أنفي"[2]

وعند جمع وحصر الألفاظ المعبرة والدّالة على الألم الجسدي أو ما تدور في فلكه نجدها تنحصر في ثلاث حقول معجمية حيث بدأت الكاتبة بـ:

حقل العنف: والذي تضمن الألفاظ التالية:

يضرب، خنق، دماء، لكمات، ركلات، ركلني، يضربني، شدّني، هجم، أسقطني، يذبحني، صفعني، صدمني، اغتالني، إنهال، لكمني...

ثم يأتي بعده **حقل الجسد** ويضمن من الألفاظ:

بطني، أنفي، وجهي، رقبتي، شعري، رأسي، جسد، يدي، عيني، ذراعي، شفتي، رجلي، جسدي، قدماي، أضلعي، خدّي.

ثم نختم بالنتيجة الحتمية لما سبق من حقلين سابقين وهو الأهم متمثلا في:

حقل الألم والوجع، ويشمل ألفاظ:

مريضة، دموع، صراخي، أبكي، مرض، ممزق، حائر، متعب، وجع، ...الخ

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص164.

[2]– المصدر نفسه، ص39.

استطاعت الكاتبة بهذا المستوى المعجمي للألم الجسدي وببراعة تصوير الألم والتعبير عنه باختيار ما يناسب من ألفاظ وحقول رسمت صورة الألم الجسدي تدريجيا بدءا بالعنف فالجسد كميدان له ثم نتيجته وهي الألم.

وكان هذا الأخير (حقل الألم) كنتيجة لتفاعل الجسد مع العنف وهو أكثر الحقول حضورًا وتواجدًا.

أما من حيث المستوى التركيبي فقد طغى على الفقرات التي حملت الألم الجسدي الجمل الفعلية التي تميزت بالحركة وحدوث الفعل (العنف) على فاطمة الزهراء التي كانت أغلبها أفعالًا متصلة بياء المتكلم تعود على البطلة فاطمة الزهراء

- ✓ "ركلني برجله وضربني بقبضة يده"[1].
- ✓ "لحقني وشدّني من شعري وجرني إلى فناء الدّار وانهال عليّ باللكمات والرّكلات"[2].
- ✓ "شدني ألم في بطني تعثرتُ في ربط أزرار مئزري"[3].
- ✓ "خلصني عمي والدماء تسيل من أنفي"[4].

فالفعل غالبا فعل ماضي في سياق السرد لأحداث ماضية تسردها الضحية "فاطمة الزهراء

أما الفعل المضارع (تعثرتُ – تسيلُ) والذي جاء للدلالة على الحركة والحيوية في سياق الوصف الذي اعتمدته الكاتبة في لغتها التعبيرية لإظهار الألم.

كما جاءت الجمل في هذا الموضع قصيرة لكنها تحمل معاني كثيرة

- ✓ "شعرت بألم فظيع أسفل بطني"[5]
- ✓ "والألم يزداد حتى ما عاد يحتمل"[6]

---

[1]– فيروز رشام،" تشرفت برحيلك"، ص34.

[2]– المصدر نفسه، ص38.

[3]– المصدر نفسه، ص57.

[4]– المصدر نفسه، ص58.

[5]– المصدر نفسه، ص140.

[6]– المصدر نفسه، ص140.

✓ "بلغ ألمي حدّا لا يحتمل"[1]

فهذه الجمل القصيرة تجعل القارئ يتخيل الألم وتحمله الجمل إلى صورة الألم الذي بلغته فاطمة الزهراء.

استعانت الكاتبة باللغة الرمزية من خلال توظيف بعض الألفاظ وتكرارها مثل لفظ "الأنف" والتركيز عليه في كل مرة أكثر من بقية الأعضاء الأخرى، وتعرضه للضرب والكسر والسيلان، فهو رمز الكرامة والشموخ في الثقافة العربية عموما وفي المجتمع الجزائري خصوصًا.

✓ "سمعتُ صوت شيء تكسر في وجهي، إنه أنفي"[2].

✓ الدماء تسيل من أنفي"[3].

كما لعب التناص دورا مهما في كتابة الألم عند الكاتبة التي وظفته في قولها

✓ "قبل أن يرتد إليّ طرفي كان قد صفعني بما يملك من قوة"[4].

وهو ما يوافق قوله تعالى "﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [5].

✓ وفي جملتها "يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا"[6].

وما نجده في قوله تعالى :﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [7].

من خلال هذه الألفاظ التي دارت في فلك الجسد وألمه وصلت الكاتبة إلى أن الإنسان من يتألم وليس الجسد الذي هو ناقل للألم أو القناة التي يمر من خلالها الألم ليستقر في

---

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص140.

[2]– المصدر نفسه، ص39.

[3]– المصدر نفسه، ص164.

[4]– المصدر نفسه، ص39.

[5]– سورة النمل، الآية 40.

[6]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص165.

[7]– سورة مريم، الآية 23.

الذات البشرية ويحطمها من خلال الأمراض والعلل التي تكون النتيجة الحتمية له، وهو ما وقع للبطلة فاطمة الزهراء التي عانت من كل الأمراض فلا تكاد تشفى من مرض ليظهر آخر حتى وجدت نفسها في نهاية الأمر تصارع المرض الخبيث الذي تمكن من هذا الجسد الذي تحمل كل أشكال العنف فكان الألم بتأثير خارجي مسلط عليه ممن كانوا حول فاطمة الزهراء بداية من أخويها ثم زوجها فيما بعد.

ب- الألم النفسي:

يضرب الألم النفس من وراء الاضطرابات التي تحدث للجسد مهما كان حجمها فيكون وقعها على النفس كبير[1].

أظهرت الكاتبة الألم النفسي للبطلة فاطمة الزهراء في عدة مستويات وبألوان متعددة وأشكال مختلفة ساهمت في ذلك مجموعة الألفاظ الدالة على هذا النوع من الألم والتي ميزته عن غيره من بقية الآلام الموجودة في الرواية فخصت هذا الألم بألفاظ ترجمت المعاناة الناتجة عن هذا الألم إلى ظاهرة نفسية، يمكن حصر ما يفوق الخمسين لفظًا يدور في معاني ألم النفس أو أمراضها، مثل: الأعصاب، متوتر، مشوش، منهارة، الوحدة، خوف، غضب، تقلّق، هستيريا، شرود، عجز، احتياط، إرهاق، مضطرة، معاناة، الوجع، مصدومة، قهرًا، همي، انتحار، ندم...الخ

تجمع هذه الألفاظ في حقول ثلاث عبرت عن الألم النفسي بدءًا بـ:

حقل القلق: خوف، ارتباك، فزع، شرود، مضطربة، ندم، قلق، شك .

حقل الإكتئاب: وحدة، أرق، صمت، يائس، أعصاب، إحباط، انكسار، وجع، قهر، ضجر، خائرة.

حقل المشاعر السلبية: كبت، انتحار غضب، أهاتي، نفسية، تشائم، هستيريا تعيس، انكسار.

[1]- محمد عطية، الجزيرة .com، الثلاثاء، 2023/04/04، العدد 18288.

وجاءت هذه الحقول مرتبة غاصت في أعماق نفسية البطلة وما تعانيه من قلق جراء المصير المجهول لفاطمة الزهراء مما أدخلها في حالة من الاكتئاب والصوم عن الكلام والأكل فولد عندها مشاعر سلبية اتجاه من حولها.

وكان حقل القلق هو الحقل المسيطر حيث عاشت البطلة في دوامة من القلق منذ بداية وعيها والتفكير في ما ينتظرها مستقبلًا.

يتشكل الألم النفسي في الرواية عند البطلة فاطمة الزهراء منذ البداية، بداية حياتها كمراهقة تكبت مشاعرها حتى اتجاه أبيها.

"وجدت أبي عند مخرج المعهد ينتظرني وقد كبر وشاخ أكثر وقبلته من خديه بشغف ولم أعانقه فقد تعودنا على كبت مشاعرنا منذ الصغر حتى الأبوية منها"[1].

وظفت الكاتبة الجمل الطويلة في هذا النوع من الألم باعتباره يحتاج إلى تحليل وتعمق أكثر في النفس فتجعل القارئ يعيش هذا الألم مع فاطمة الزهراء.

يستفرد الألم النفسي بفاطمة الزهراء فلا بديل لها سوى الدموع فيتكرر مشهد البكاء والدموع في كل مرة وتصور الكاتبة هذه الدموع كأنها البحر أو الفيضان.

"أغرقت بدموعي مدينة بومرداس والبحر الأبيض المتوسط الذي تطل عليه وسط كتبي وكراريسي..."[2]

بالغت الكاتبة في تصوير الدموع لكنها أرادت من خلال هذه المبالغة غسل ما فيها من ألم داخلي بهذه الدموع الغزيرة.

"بكيت حتى أغرقت بدموعي مدينة البليدة والجزائر بأكملها وسقيت جميع مجاري افريقيا العطشى"[3].

فبين الدموع والتفكير يستمر الألم النفسي للبطلة فاطمة الزهراء

---

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص62.

[2]– المصدر نفسه، ص62.

[3]– المصدر نفسه، ص222.

"عشت أيام الصيف شبه مخدّرة لم أكن واعية تمامًا بنفسي دائمة التفكير والشرود قليلة الكلام وكثيرة الآمال والأحلام"[1].

لتدخل بعد ذلك مرحلة الصمت كلمة أخرى استعملتها الكاتبة للتعبير عن الألم النفسي للبطلة فاطمة الزهراء، وليكون الصمت اللغة البديلة التي تحكي فصلا جديدا من الألم النفسي.

✓ "عرفت فصلًا آخر من المآسي قد بدأ في حياتي دخلت في حالة صوم عن كل شيء الكلام، والأكل والنوم وحده التفكير ينخر دماغي"[2].

✓ "لكني ما أزال في حالة صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون"[3].

وفي هذه الجملة تناص من قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً‌ۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾[4]

لعب التشبيه في لغة الكاتبة دورا مهما في اظهار عمق الألم النفسي للبطلة فاطمة الزهراء به رسمت الكاتبة معاناة ووجع فاطمة الزهراء.

"انكسر خاطري أكبر انكسارا كما ينكسر إناء الزجاج الهارب من أعلى وسمعت صوته ينكسر وهو يتناثر في داخلي قطعة قطعة"[5]

فهنا نحن أمام تشبيه تمثيلي جعلت الكاتبة حالة فاطمة الزهراء متعددة الأوجه انكسارًا وتشتتًا كإناء الزجاج الذي يسقط من أعلى فينكسر ويتناثر إلى أجزاء صغيرة مترامية هنا وهناك.

✓ "أعمل كالعبيد أنجب كالآلة وأعيش على الهامش"[6].

---

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص52.

[2]– المصدر نفسه، ص51.

[3]– المصدر نفسه، ص128.

[4]– سورة البقرة، الآية 171.

[5]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص103.

[6]– المصدر نفسه، ص150

✓ "عدت من العمل كعبد بل أسوء منه فعلى الأقل العبد يحظى ببعض الأجر أما أنا فلم أرى دينارا من أجرتي منذ زواجي"[1].

✓ "من فرط التعب والارهاق أصبحت كالمختلة أنسى كثيرا أتكلم وحدي مظهري كالمتسولة أو أسوأ"[2].

شبهت الكاتبة فاطمة الزهراء بالعبد المسلوب الإرادة والحرية المحروم من أبسط حقوقه يعمل ويتعب ولا ينال أجره أما شكلها ومظهرها فصورتها كالمجنونة أو المتسولة مما جعلها في تفكير دائم في الانتحار وتمني الموت الذي أصبح خلاصها الوحيد والرّاحة لها من بعد العذاب النفسي.

"فما أجمل الموت في نهاية الأمر لماذا لا أرمي بنفسي أمام سيارة أو من شرفة أو أشرب سمًا هذه ليست أول مرة تراودني فيها أفكار انتحارية لكني الآن أكثر من أي وقت أريد الموت وأتمناه"[3].

عبرت الكاتبة عن هذه الحالة النفسية المضطربة لفاطمة الزهراء بأسلوب إنشائي مستعملة صيغ الاستفهام والتعجب اللذين يوحيان بحالة الضياع والتشتت الذهني الذي تتخبط فيه فاطمة الزهراء ودخولها في دوامة من القلق والإحباط والانكسار النفسي وفقدانها لطعم الحياة، فكان هذا الألم النفسي سجنا آخر أُحكمَ غلقه على روح البطلة فاطمة الزهراء ليكبل روحها ويدخلها في دوامة من الأمراض النفسية ويهز كيانها وينقلها لعالم الجنون وفقدان الأمل في حياة طبيعية لتختار الموت سبيلا للراحة فهو ألم دائم حتى بزوال أسبابه يبقى له الأثر البالغ على نفسية فاطمة الزهراء وترفض روحها نسيانه.

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص151.

[2]– المصدر نفسه، ص157.

[3]– المصدر نفسه، ص 166

ج- ألم الوعي بالوجود:

الإحساس بالوجود والبحث عن الذات واثباتها أولى خطوات التغلب على الألم والصراع معه "فيصير الألم معاناة حال دخوله حيز الوعي"[1].

بدأت البطلة فاطمة الزهراء صراعها مع الألم والتغلب عليه من خلال انتصارها لوجودها وكيانها كأنثى.

وترجمت الكاتبة ذلك الألم بالوجود من خلال الألفاظ التي أحسنت اختيارها لهذا المظهر من الألم والتي تدل على علاقة البطلة فاطمة الزهراء بما حولها مثل: استوعبت، اصرار، طموحاتي، أفكاري، أدرك، المعرفة، أتأمل، كفاحي، مواهبي، نضالي، مصيري، واعية، كياني، عقلي، الأنوثة، المقاومة، الذات، العقل، أنوثتي.

وتردد لفظ الكتابة أكثر من خمسة عشرة مرة ليبين إصرار البطلة فاطمة الزهراء على كتابة شيء يعبر عن ألمها.

وتندرج هذه الألفاظ المشكلة للألم الوجود ضمن حقول معجمية مرتبة ومتسلسلة بنسق منتظم يبدأ بالبحث عن الذات والكيان والتفكير الدائم بالوجود.

فنجد **حقل الوجود والكيان** ويضم الألفاظ التالية: طموح، موهبة، أحلام، إدراك، أتأمل، أستوعب، تفكير، وعي، العقل، عقلي، الفكرة، الذات، الكيان، أنوثة.

فتخرج بعد ذلك إلى مرحلة المقاومة والصراع ومواجهة المصير للتغلب على الألم، فكان **حقل المواجهة والمقاومة** ويشمل: إصرار رغبة، كفاحي، نضالي، المقاومة، المواجهة، قاومتُ، واجبي.

وأخيرا لحظة الخلاص وكسر الضعف والعجز والتحرر من الظلم والعبودية من خلال **حقل الخلاص** الذي عبرت عنه الألفاظ: الصحو، قررت، مصيري، طلقني، انفصال، انفجرت، رحيلك، خلاص...

[1]- معز الزموري، الكتابة والألم، الدار التونسية للكتاب، ط01، 2022، ص58.

والحقل الأكثر بروزا هو حقل الوجود والبحث عن الذات واثباتها من خلال الحياة الجديدة التي تبدأ برحيل الزوج.

جاءت تراكيب وجمل هذا الشكل من الألم (ألم الوجود) توظيفا للألم الناتج عن الوعي بالذات الأنثوية أو الصراع الداخلي الذي تعيشه البطلة فاطمة الزهراء بين صوت العقل وصوت القلب. مما جعلها تتخبط في ألم مستمر إلى أن جاء الخلاص أخيرًا.

وكانت أولى حروبها مع أخيها فؤاد الذي وقف في طريق طموحها في مواصلة الدراسة والالتحاق بالجامعة.

" قررت الخروج للمواجهة وحملت المحفظة ووقفت في منتصف الرواق وبعد لحظة زأر فؤاد ادخلي قبل أن أجعلهم يحفرون قبرك".

✓ هل ستقتلني كما يقتل الإرهابيون يا إرهابي؟

✓ لا أدري كيف نطقت ذلك لكني أدركت بعد أن أنهيت جملتي أن قبري فعلا سيحفر اليوم"[1].

تميزت لغة الألم بالوجود بكثرة الجمل الحوارية الطويلة التي اعتمدت عليها الكاتبة للغوص في أعماق الذات وتسهيل وصول القارئ إلى أحكام من خلال مستوى التفكير عند البطلة فاطمة الزهراء لم يكن تمسك فاطمة الزهراء بمواصلة الدراسة هو السبيل الوحيد لإثبات وجودها وكيانها بل نجد الوظيفة والعمل كذلك.

حربا أخرى تخوضها البطلة فاطمة الزهراء مع زوجها وتمسكها بوظيفتها، صورة أخرى للألم الطويل.

" أجر نفسي يوميا إلى المدرسة جرّ الميت الذي لا رجاء فيه ألبس نفس الحجاب ونفس الحذاء حاملة محفظة مقطعة بالية"[2].

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص57.

[2]– المصدر نفسه، ص162.

" بالية أنا كثوب عتيق لا شباب بقيَ ولا جمال ولا أحلام ولا أمال، أجر نفسي يوميا إلى المدرسة أرى كل تلميذ اثنين أكتب وأنسى"[1]

بلغة تصويرية لمشاهد يومية حية متكررة يتكرر فيها الألم نفسه كررت الكاتبة نفس العبارات دون أن يخل ذلك بالأسلوب من غير تكلف لتصور البطلة فاطمة الزهراء وهي تذهب للعمل الذي أحبته منهكة متعبة تجر جسدها المتعب جرّا لتحافظ على وظيفتها التي تجد فيها حفاظا على ذاتها وكيانها ووجودها.

فتكثر الكاتبة من الصور البيانية كالتشبيه لتقريب المشهد إلى ذهن القارئ: (جرّ الميت)، (كثوب عتيق).

تستمر رحلة البحث عن الذات الأنثوية وتحقيق الكيان وهذه المرة بالمواجهة وقرار البطلة فاطمة الزهراء الخروج من عجزها وضعفها ومواجهة مصيرها فكان أول مواجهة لها مع زوجها.

"صرخت وعلا صوتي وأنا أشكي وأبكي شدتي من رأسي تدلى خماري أمسكني من شعري بدأ يضربني قاومت بما استطعت وأنا أكرر على مسامعه كرهتُ، تعبتُ، دعني، طلقني"[2].

بدأت أثور انفجرت كبركان خامد منذ آلاف السنين دهش لجرأتي الغير معتادة هذا المساء وحتى أنا اندهشت من نفسي لأول مرة قلت هذا الكلام أنت رجل مستغل"[3].

ليأتي بعد ذلك لحظة الخلاص والمواجهة الفاصلة وساعة الخلاص بالطلاق والرحيل.

" غادرته وأمه لا تزال تعوي وأنا جاثمة على الأرض أكرر تشرفت برحيلك... تشرفت برحيلك، بين لحظة تشرفت بمعرفتك ولحظه تشرفت برحيلك ثماني عشرة سنة من العبودية

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص172.

[2]– المصدر نفسه، ص155.

[3]– المصدر نفسه، ص225.

والذل زواج شرعي لكن غير انساني زواج بائس وتعيس"[1].

مشهد أخر للألم بالوجود عاشته البطلة فاطمة الزهراء وحاولت الكاتبة ابرازه لتوغل في ألم البطلة وهو الصراع بين العقل والقلب بين راحتها وخلاصها أو إرضائها لأسرتها وخوفها من الوقوع في بئر الفضيحة أو العيب الذي يطارد والدها للأبد.

- "لما وقفنا ننتظر الحافلة قلت لها
- لن أهرب معه
- ماذا؟
- سيموت أبي وأمي قهرًا إن فعلتُ
- أنت من سيموت قهرا إن لم تفعلي"[2].

بالاعتماد على الجمل الحوارية نجحت الكاتبة في تبليغ اختلاف وجهات النظر وإبراز هذا الصراع الذي عاشته البطلة فاطمة الزهراء سواء كان عن طريق الحوار الداخلي أو الخارجي.

"قلبي يعذبني إن لم أهرب مع طارق ويقول أني ضيعت سعادتي للأبد، وعقلي يقول بأني فعلت الصواب لم أعرف لأي منهما أستمع تمنيت لو يسكتا معًا[3].

دلت الجمل الإسمية وكثرة التساؤلات التي كانت فاطمة الزهراء تبحث لها عن إجابات ولم تجد جوابًا على حيرتها وتشتت ذهنها بين نداء القلب ونداء العقل بين اختيارها لسعادتها وخلاصها أو إرضاءها لأهلها.

"لم أصدق أني قلت لا. العقل أن نقول لا حينما نرغب بشدة أن نقول نعم أهي اللغة التي تخوننا أم القلب أم العقل أما القدر أحيانًا قولنا لا إنما يعني نعم ونعم بألف لا"[4].

---

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص228.

[2]– المصدر نفسه، ص113.

[3]– المصدر نفسه، ص116.

[4]– المصدر نفسه، ص128.

وما زاد حدّة الألم رفض البطلة فاطمة الزهراء التخلي عن واجبها كأم أولًا وكزوجة ثانيًا وتحملها للألم في سبيل ذلك، وهو صراع آخر عاشته يضاف إلى بقية الصراعات الأخرى.

"ما من شيء أرغب فيه أكثر من الانفصال عن ناصر لكن فكرة التخلي عن أربعة أطفال كانت تربكني ومع أني سألته الطلاق مرارًا ورفض إلا أني في النهاية لا أستطيع التخلي عن واجبي نحو أطفالي كالعادة أنا أفكر في الآخرين قبل أن أفكر في نفسي"[1]

وجدت البطلة فاطمة الزهراء في الكتابة والمحاولات المتكررة لكتابة ألمها أو ما يشبه الكتابة عن ألمها.

فالكتابة كانت السبيل لفاطمة الزهراء وطوق النجاة وآخر الخطوات التي توصلها إلى برّ الأمان وتعزيز وجودها وانتصارها لذاتها وتخطي الألم والتصالح مع الذات.

" حاولت عدة مرات كتابة شيء بحجم ألمي لكني مع كل محاولة كنت أكتشف عجز الكلمات لا شيء مما خربشته يعادل معاناتي تارة أكتب شعرا أو ما يشبه الشعر وتارة أكتب نثرا أو ما يشبه النثر"[2].

" حاولت كتابة شيء لكن لم ينزل علي لا وحي الشعر ولا حتى وحي النثر فأدركت أني عاجزة عن الكتابة أيضا مزقت الأوراق"[3].

ميز التكرار لغة الكاتبة في هذه المواضع من خلال التركيز على كتابة أو محاولة كتابة ألم البطلة حتى بلوغها المراد ونجاحها في الكتابة كتابة الألم من خلال قصة حياتها فجاءت لحظة الإلهام وتدافع الكلمات وتزاحمها لتملأ الصفحات ألما معلنة عن ميلاد كاتبة اسمها فاطمة الزهراء.

[1]– فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص168.

[2]– المصدر نفسه، ص52.

[3]– المصدر نفسه، ص132.

"في تلك الليلة أصابني الأرق وشعرت بحاجة إلى الكتابة عدت وفتحت الكراس من جديد وبدأت أكتب الساعة الثالثة صباحا عشرات الصفحات قد امتلأت إني أكتب قصة حياتي هذا ما احتاجه لأعيد مراجعة نفسي"[1].

بهذا المشهد التصويري التقريري وبأسلوب خبري صورت الكاتبة لحظة ميلاد كتابة الألم فمن رحم الألم ولدت الكتابة بعد الأرق والتعب لتبين العلاقة بين الكتابة والألم.

فبالكتابة نستطيع تصوير الألم الظاهري والباطني وتشعرنا به.

"بعد أشهر قليلة صدر الكتاب بإسمي الكامل والحقيقي فاطمة الزهراء زيتوني فمن الحين لن أنشر باسم مستعار[2].

نجحت الكاتبة في إثبات متلازمة الكتابة وتجربة الألم من خلال هذه التجربة الشخصية للبطلة فاطمة الزهراء لتكون الكتابة شاهد على أطراف صراع الألم مع الوجود.

كلما زاد وعي الإنسان بما حوله وإطالة التفكير في وجوده زاد ألمه وهو ما أثبتته الكاتبة من خلال هذا المستوى من الألم الذي عاشته فاطمة الزهراء ألم الوعي الوجود فكلما زاد تفكير فاطمة وبحثها الدائم عن كيانها وإثبات ذاتها وجدت الحواجز والصعوبات التي تحول بينها وبين تحقيق ذاتها فيزداد ألمها فراحت تحاول وتحاول تجهد تفكيرها وتتمسك بأبسط الأشياء التي قد تكون السبيل لانتصارها على ألمها فحافظت على وظيفتها رغم حرمانها من الراتب ومن أبسط شيء ثوب أنيق كبقية زميلاتها مظهر لائق يحفظ كرامتها فضحت براتبها في سبيل الحفاظ على الوظيفة التي قد تجدها لحظة خروج زوجا من حياتها.

رغم عجزها في البداية عن تحقيق هذا الهدف لكنها في الأخير نجحت في كتابة قصة حياتها.

---

[1]- فيروز رشام، "تشرفت برحيلك"، ص241.

[2]– المصدر نفسه، ص244.

د- الألم الاجتماعي :

خلقت الأحداث الاجتماعية الصعبة التي مرت بها فاطمة الزهراء ألما أخر له ألوانه المختلفة ولغته الخاصة تجسدت في صورة فقدان فاطمة الزهراء لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية فكان ألما اجتماعيا بامتياز مس جميع مناحي الحياة الاجتماعية واستطاعت الكاتبة صنع وعاء لفظي مناسب لهذا الألم انطلاقا من الواقع المعاش والملموس فنجد الألفاظ متداولة في المجتمع الجزائري مثل: موت، أمان، عادات، الربيع، ذكريات، العار، الحب، زغاريد، الخطبة، أعداء .....الخ

وألفاظ أحرى جديدة وليدة المرحلة صنعتها الأحداث التي عرفها المجتمع الجزائري والتي عرفت بالعشرية السوداء في الجزائر مثل: متعصب، خطف، اغتيال، ارهاب وتكررت هذه اللفظة الاخيرة **(ارهاب)** اكثر من ثلاث وثلاثين مرة في عموم النص الروائي، وانحصرت الألفاظ ضمن حقول معجمية داله على هذا الألم هي:

حقل الخوف :ويشمل يقتل، يسلب، ينهب، ارهاب، اغتيال، اختطاف، عار، أعداء.

حقل الحزن: ويضم موت، جنازة، أسود، تحزنني، حزني، قبر، تعزية، مصائب، مأسي.

مست هذه الحقول المعجمية الحياة الاجتماعية بالرواية وتحولات البطلة من حالة لأخرى حسب تجاذبات الحياة فعاشت أولاً الخوف من المصير فصارعت وقاومت ثم ذاقت طعم الفقدان للحبيب فالأب ثم الأم فكان الحزن مصاحبًا لها ثم لاح الخلاص من بعيد معيد لها بريق الحياة من خلال طلاقها ورحيل الزوج الذي وجدت فيها تشرفًا لتنطلق الحياة الجديدة لكن رغم هذا الخلاص يبقى الحزن والوجع هو الأكثر سيطرة على تفاصيل الحياة.

عبرت الكاتبة عن كتابة ألم الفقدان عند البطلة فاطمة الزهراء بتسلسل الأحداث وتعاقب الأحداث وفق الترتيب الزمني لها دون خلل أو فراغ فبدأت بفقدان الصورة الجميلة للوطن (الجزائر) وحالة اللا أمن مع بداية مرحلة الإرهاب التي قطعت أوصال المجتمع الجزائري فيكون بداية الألم بفقدان الوطن الجميل.

"تحولت الجزائر من قطعة من جنة إلى قطعة من نار، وهي التي كانت جنة الجنات التي تأوي إليها كل الكائنات لتعشق وتتكاثر وتستوطن بسلام"[1].

في جملة فعلية دلّت على الحركة و التحول عبرت الكاتبة عن تحول الجزائر من جنة إلى نار من وطن يقصده الجميع للعيش إلى وطن يفر منه الجميع إلى المنفى الاختياري.

ثم يستمر الفقدان من الوطن إلى القرية الصغيرة التي تسكنها فاطمة الزهراء والتي جرفها سيل الإرهاب وقلب رأسها على عقب.

"في قريتي الصغيرة التابعة لولاية بومرداس الواقفة على تلة مرتفعة عند الجهة الشرقية للعاصمة كنا نعيش في أمان قبل أن ينخرط شبابها في موجة التطرف ويفسدوا علينا العادات الجميلة"[2].

اعتمدت الكاتبة على لغة تقريرية أشبه بلغة التقرير الصحفي فنقلت أخبار القرية الصغيرة التي كانت آمنة مستقرة وفجأة يغشاها سيل جارف فتغرق في الإرهاب الذي دخل كل بيوتها بيتًا بيتا ومنها بيت البطلة فاطمة الزهراء.

" شيء ماء بدأ في الحدوث في قريتنا في بيت عمي صالح الرجل الصالح حقا الذي كانت أقصى طموحاته تربية رجال صالحين لهذا البلد"[3].

نعمة الأمن والاستقرار التي فقدت في الوطن أطفأت شمعة الفرح والابتسامة في بنت فاطمة الزهراء ويحل محلها الألم، والفقدان الطويل لكل ما هو جميل و يختفي الحب شيئًا فشيئا.

"أين يمكن أن نلتقي في بلاد يعتبر فيه الحب جريمة الجرائم، ووسائل الغرام كما القنابل الموقوتة وحدها تستطيع حرق مدينة بأكملها إذا وقعت في يد أعداء الحب"[4].

---

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص07.

[2]– المصدر نفسه، ص07

[3]– المصدر نفسه، ص07.

[4]– المصدر نفسه، ص66.

بالاستفهام استهلت الكاتبة جملتها التي تظهر الحيرة والعجز وعدم استيعاب ما يحدث حولنا من تغيرات مفاجئة وبتشبيه جعلت من الواقع الجديد وجهً للشبه (رسائل الغرام كما القنابل الموقوتة) و الكتابة عن الإرهاب والإرهابيين بعبارة "أعداء الحب".

"ما أوجع الحب حين يصبح مجرد ذكرى[1]".

بصفة التعجب المراد به الحسرة والأسى، تصور الكاتبة الألم في فقدان الحب والحبيب.

"وما أسوءه من إحساس عندما تشعر بفقدان الأمان في المكان الذي يفترض أن يكون هو بيت الأمان"[2].

ليكون البيت هو المكان الأخير المفقود الذي فقدته فاطمة الزهراء ومعه فقد الأمان والأمن لتجعل من المكان مسرحا للألم لارتباط الانسان به و بذكرياته الجميلة فعبرت عن الألم الاجتماعي في فقدان الوطن ثم المدينة ثم القرية وأخيرا البيت.

في مشهد تمثيلي رسمت الكاتب صورة في مخيلة القارئ لألم الفقدان من خلال تصوير البطلة فاطمة الزهراء كهاربة من قدرها إلى قدرها في محاكاة لمشهد من مسرحية أوديب ملكا وهي المسرحية التي قرأتها البطلة و كأن ما قرأته يتحقق في تفاصيل حياتها.

"جميلة تضيف بعض الأغراض معلقة أيتها الهاربة من قدرها لقد نسيتي هذه... وهذه ".

تذكرت مسرحية أوديب ملكا لسوفو كليس التي قرأتها مرة في المكتبة.

" الهارب من قدره سيجده في الطريق[3] "

"حملت حقيبتي بقلبي المكسور... وودعتني أمي عند الباب وهي توصيني"[4].

صورة سوداء رسمتها الكاتبة للحياة الاجتماعية بفقد الفرح وطعم الحياة والشعور بالحياة والانتماء لها.

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك"، ص63.

[2]– المصدر نفسه، ص61.

[3]– المصدر نفسه، ص62.

[4]– المصدر نفسه، ص62.

"مع هذه الأيام العصيبة الموت يزور بيوت الجزائريين بيتًا بيتًا لا أحد يعلم متى سيصل دوره[1]".

يشبه الموت الزائر الذي يدخل البيوت بلا موعد ولا يترك بيتا إلا ويدخله ومع الموت يستمر الألم والفقد ألم فاطمة الزهراء فالموت من حولها وأخباره هي الأكثر تداولًا وانتشارا بين الناس.

"أخبار كثيرة من هذا النوع ستنتشر لاحقًا رجالًا ونساءً قتلوا ساعات قبل أو بعد زواجهم لا أعراس بقيت ولا أفراح ولا حب بدأ الإرهاب يقضي على كل شيء"[2]

يبقى السواد الصورة الدائمة والطاغية على لغة الكاتبة في هذا الألم الاجتماعي ويزداد التأزم بفقدان فاطمة الزهراء للأب والسند الحقيقي لها حيث مهدت الكاتبة لهذا الفقدان تدريجيا بدأ بتخليه عن حمايتها من أخويها والسماح لهما بتزويجها غصبا عنها.

"خلصينا من هذا الموضوع فقد تعبت من مشاكلك لم أصدق أن أبي قد نطق بذلك أمامه لن يرحماني بعد اليوم، بعد أن أعلن أبي موافقته... لا يعلم أنه قدمني قربانا لهما"[3].

أبي الذي سيدافع عني منهار تمامًا أبي المقهور المكسور الخاطر"[4].

صورت الكاتبة حزن فاطمة الزهراء وألمها جراء فقدان أبيها بتشبيه تمثيلي.

"دمار شامل في بومرداس وآخر في قلبي

الآن تشكل الحزن عميقا في داخلي حتى أصبح شجرة أحزان تطول أغصانها كل يوم"[5].

الصمت لغة أخرى عبرت به الكاتبة عن ألم فاطمة الزهراء الغير ظاهر عن تعبها وعدم قدرتها عن الكلام والصراخ ألما عندما تفقد أمها.

---

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك"، ص95.

[2]– المصدر نفسه، ص95.

[3]– المصدر نفسه، ص105

[4]– المصدر نفسه، ص141

[5]– المصدر نفسه، ص183

"بكيت بصمت رهيب بعدما فقدت كل قدرتي عن الكلام بصمت أبكي بصمت أتألم وبصمت أموت أيضا في الوقت الذي كان فيه الجميع ينتظر موتي أنا ماتت أمي"[1].

تبدوا الصورة موحشة جدا من خلال الفقدان فقدت فاطمة الزهراء كل شيء في مدينة بومرداس.

"مدينة بومرداس الآن موحشة حقًا لم يعد فيها أم ولا أب ولا حبيب"[2].

تزيدنا الكاتبة من الألم ألمًا آخر في حياة البطلة فاطمة الزهراء بفقدان الولد الذي أنجبته لكنها لم تشعر يوما بانتمائه إليها والذي تحول إلى نموذج عن عمه المتعصب.

"محمد ليس ابني كما تقول حماتي إنما ابنهم وهو فعلًا كذلك فأنا لم أربّه الآن أصبح لدي ابن يضربني لقد اكتملت المأساة"[3].

أطالت الكاتبة في الحديث في الألم الاجتماعي لارتباطه بكل تفاصيل حياة البطلة ولأنه مسّ كل مراحل حياتها من بداية مرحلة المراهقة وهي تلميذة في مرحلة الثانوي وربطت بين الألم الاجتماعي وبين البيئة التي تعيش فيها البطلة فاطمة الزهراء فبدأت معاناتها من الأسرة وما كانت تعيشه من عنف من قبل أخويها ثم فقدان الأمن والأمان في البلاد بسبب موجة الإرهاب التي قطعت أوصال الحياة وحولت مدينتها بومرداس إلى مدينة موحشة.

ورغم إنتقالها إلى بيت زوجها بالبليدة إلا أنها هربت من ألم إلى ألم آخر قد يكون أشدُّ وقعًا عليها.

[1]– فيروز رشام، تشرفت برحيلك"، ص222.

[2]– المصدر نفسه، ص224.

[3]– المصدر نفسه، ص224.

الخاتمة

بعد نهاية هذه الدراسة العلمية التي تناولنا فيه كتابة الألم في رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام" جاءت هذه الخاتمة التي ليست صياغة نهائية لبحثنا بل نعتبرها محاولة منا لإبراز بعض النتائج التي توصلنا إليها ونحن نخوض في هذا الموضوع والتي يمكن أن نلخصها في الآتي:

✓موضوع الألم والبحث عن أسبابه ومسبباته شغل العديد من الفلاسفة والباحثين ويبقى الوصول إلى حقيقته صعبا صعوبة النفس البشرية.

✓تتعدد أشكال الألم ومظاهره بتعدد التجربة الإنسانية، فهو عنصر مهم وأساسي في الأعمال الأدبية.

✓تأخرت المرأة في اقتحامها لجنس لرواية مقارنة بنظيرها الرجل خاصة في الوطن العربي خلاف ما نجده في الغرب.

✓كان للأحداث السياسية في فترة التسعينات الأثر المباشر في بروز جيل من الروائيات الجزائريات مثل: زهور ونسي وآسيا جبّار.

✓تميزت الرواية النسوية في عمومها بالتركيز على ابراز الجسد الأنثوي وبالعفوية والتعبير عن الطبيعة الداخلية للمرأة.

✓اهتمت الرواية النسوية بمعالجة القضايا الأقرب للمرأة أي القضايا الخاصة كالحب والجسد والطلاق والزواج وغيرها.

✓كان العنف عنصرا ملازما للألم الجسدي، فالجسد هو الناقل للألم من الخارج إلى داخل الذات الإنسانية فيترجم إلى أمراض وعلل تدمر الجسد البشري.

✓الألم النفسي سجن يطبق على النفس الإنسانية كلما حاولت الخروج منه أغرقها في الأمراض النفسية المتنوعة كالإحباط والاكتئاب والتفكير في الانتحار وتمني الموت للخلاص.

✓يزداد ألم الإنسان بزيادة وعيه بالحياة وبالوجود من حوله وتفكيره في مصيره ومحاولته لتحقيق ذاته وكيانه.

✓الألم الاجتماعي ألم مركب ومعقد وذلك لإترباطه بتفاصيل الحياة ومراحلها والبيئة التي يعيش فيها الإنسان فكلها مسببات للألم فالإنسان كائن اجتماعي ويتأثر بمن معه وبما حوله.

✓وفي الأخير نستطيع القول أن رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام لخصت تمظهرات الألم وأوجدت الكاتبة الوسائل المناسبة لكتابته والتعبير عنه من خلال اختيارها للألفاظ والتراكيب المناسبة والمعبرة والموحية والتي ساهمت في رسم صورة للألم في هذه الرواية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن **الكريم رواية ورش عن نافع .**

- **المصادر:**

– فيروز رشام، تشرفت برحيلك، دار فضاءات، عمان، ط02، 2019.

- **المراجع**

أولا– الكتب العربية

1. أحلام مستغانمي: فوضى الحواس، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط20، 2011م.

2. أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط07، 2013م.

3. جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمال، مطبعة AGP، وهران.

4. جميلة زنير: أنطولوجيا القصة النسوية في الجزائر، وزارة الثقافة،2007.

5. جميلة زنير، أصابع الاتهام موفم للنشر، الجزائر، 2008م.

6. جوزيف زيدان مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث 1800–1996، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996

7. حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2008م.

8. ربيعة جلطي: عرش معشق، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2013م.

9. زهور ونيسي، لونجة والغول، اتحاد الكتّاب العرب،ط1، دمشق 1993م.

10. سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 2012.

11. عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جينيت، من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط01، الجزائر، 2008م.

12. فرج عبد القادر طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي دار غريب لطباعة والنشر، القاهرة، 2003م.

13. محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م.

14. مريم الجيّار: تحت المطر، دار الهدى للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر2013.

15. معز الزموري، الكتابة والألم، الدار التونسية للكتاب، ط01، 2022م.

16. مليكة مقدم، الممنوعة، ترجمة محمد ساري، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008 .

17. نهى عبد العزيز، محمود يوسف، مفهوم الألم في الفكر الفلسفي الأخلاقي (دراسى تحليلية)، قسم الفلسفة، كلية الآداب، مجلد02، الاسكندرية، 2016م.

18. وجدان الصائغ، شهرزاد وغواية السرد قراءة في القصة والرواية الأنثوية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008

19. يوسف وغليسي: خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوي في الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2013م.

ثانيا- الكتب المترجمة:

20. سيغموند فرويد: الحزن والإكتئات 1915، ترجمة محمد أبو زيد،استشارة علمية جهاد مصارورة، معهد جوتة، 2009م.

21. عادل صادق: الألم النفسي والعضوي، ترجمة يوسف فرنسيس، دار الاسكندرية للنشر، القاهرة، 1984/12/28م.

22. فاطمة حدّاد الشامخ: الألم، ترجمة رفيقة منصوري/ ط01، منشورات جيم، صفاقص، 2006م.

23. سليمة غزالي، عاشق شهرزاد، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار مرسي الجزائر، 2002.

ثالثا- المعاجم والقواميس:

24. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مجلد 11، دار صادر، بيروت.

25. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2007.

رابعا- الرسائل الجامعة

24. سعيد لراوي، ظاهرة الحزن في شعر شاكر السيّاب (ماجيستر)، جامعة باتنة، 1986م.

25. بايزيد فاطمة الزهراء، الكتابة الروائية النسوية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل (دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012م.

26. سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي (دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، باتنة (2007-2008م).

27. فاطمة مختاري، الكتابة النسوية أسئلة الاختلاف، وعلامات التحول (مقارنة تحليلية) في خصوص الخطاب الروائي النسائي العربي المعاصر (دكتوراه)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، (2013-2014م).

28. فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوي في لغة زهور ونيسي (ماجيستر)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2012-2013م).

خامسا- الدوريات والملتقيات

29. أسيا جبّار، محمد حيرش بغداج: الكتابة النسوية وهاجس التحرر من سلطة الماضي ومن سلطة الرجل، الملتقى الدولي للكتابة النسوية، التلقي والخطاب، المركز الوطني للبحث في الأنتثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، نوفمبر 2006م.

30. أيمن بدر كريم: في فلسفة الألم، جريدة المدينة 2022/04/24، السعوية.

31. آمنة محمد الطويل، عتبات النص الروائي في رواية المجوس لإبراهيم الكوني، العنوان، الغلاف، المقتبسات، مجلة الجامعة، العدد 16، مجلد 03، 2004م.

32. بشرى يمينة: نضال المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر (كتابات زهور ونيسي نموذجا)، حوليات جامعة الجزائر، جوان 2012.

33. بوشوشة بن جمعة، شعرية العتبات في رواية الأسود يليق بك، مجلة علوم اللسان العربي، العددان 5-6، الأغواط، جوان2014م.

34. داغما برويكر، ستيفان مولغ، فرانس بيترمان، سيكوفيزيولوجيا الألم، ترجمة سامر رضوان سلسلة كتب الثقافة النفسية التخصصية، طرابلس، لبنان، العدد109.

35. عباس سالم: اللون وتأثيره في الناس، مجلة بناة الأجيال، م10، العدد 39، نقابة المعلمين، سوريا.

36. يمينة عجناك، الكتابة النسائية في الجزائر، إشكالياتها قضية المرأة في كتابات زهور ونيسي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد09، جامعة غرداية، 2010م.

سادسا: المواقع الإلكترونية

37. محمد عطية محمود، كتابة الألم عند كنّاب اليوميات، الجزيرة .COM، 2024/02/24، العدد18288.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
التصديرة	
الفصل الأول: **الألم في الرواية النسوية الجزائرية**	
1- ماهية الألم	7
2- أشكال الألم	10
3- الرواية النسوية الجزائرية	12
4- التعريف بالمؤلفة	20
5- ملخص الرواية	21
الفصل الثاني: **تمظهرات الألم في رواية "تشرفت برحيلك"**	
1- تمظهرات الألم على مستوى العتبة النصية	24
أ- الغلاف	24
ب- العنوان	28
2- تمظهرات الألم على مستوى المتن النصي	32
أ- الألم الجسدي	32
ب- الألم النفسي	36
ج- ألم الوعي بالوجود	40
د- الألم الاجتماعي	46
الخاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	55
فهرس الموضوعات	59